

دراسات لغوية

أصول اللغ: العربية بين النائية والسلاية

دكتور نوس محمد صالحين

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع التحرير ، القاهرة
القاهرة ٩٣٧٤٧٠

الطبعة الأولى

رجب سنة ١٤٠٠ هـ - مايو سنة ١٩٨٠ م

جميع الحقوق محفوظة

دار الفضائل للطباعة

٢٢ شارع سامي ميدان لافوغلي

تليفون : ٢٠٥٥٦

تقديم

بفضل التقدم العلمى والتكنولوجى ، تقدمت الأبحاث اليوم كثيرا فى علمى (الفونتيك Phonétique) و (الفونولوجيا Phonologie) ، وحلت مشاكل كثيرة فى اللغة الإنسانية بعامة .

وقد بحثت اللغات السامية فى ضوء المعايير الحديثة لعلم اللغة : (Linguistics) على يد المستشرقين أكثر من دراستها على يد ابنائها ، مع أنهم أقدر على ذلك من غيرهم ، لتشرهم روح السنتهم ، وليسسهولة ادراكهم لأسرارها وخواصها .. وأنت هذه الأبحاث بثمرات طيبة : وضحت الغامض ، وزااحت السجف ، واستقرت بها أمور كانت غير قارة . وإذا لم تسعفنا ظروف السبق فى الميدان العلمى ، فلا أقل من أن نحول اللحاق فيه .

ولفتنا العربية غدت — والصدده — إحدى اللغات العالمية الكبرى فى المحافل الدولية ، فضلا عن أنها لغة حضارة راقية ، وتنتمى إلى أعرق الأسر اللغوية . ولها مشاكل مازالت تنتظر فصل القول فيها .

والساميات عموما — وفيها العربية — مميزة الاضداد على الجذر والاشتقاق مما يدفع بدراسة النشوء والارتقاء لها ، على أن نعرف من هذه الدراسة ما يبدو أحيانا من اضطراب أو خلاف أو تناقضات أو نزاعات .. فى الضوابط ، أو التصريف ، أو المعنى فى القاموس .. على نحو ما نختلف أو نؤول أو نخرج ..

ومع اجلالنا لعلمائنا القدامى ، واستهطارنا رحمة الله تعالى ورضوانه عليهم ، جزاء ما بذلوا وقدموا .. الا أننا نقول : لو توغرت لهم عوالم التقدم (التكنولوجى) ، ولو نظروا فى الساميات عموما وما يجاورها ، فى عمق وشمول دراية ، لغيروا رأيهم فى أمور ، ولجأت مؤلفاتهم القيمة لايعنورها غموض أو قصور فى بعض الجوانب ، ولكن يحفها التماسق المعنوى ، واللفظى المعقول فى اتساق يأخذ بحجز بعضه .

والعربية — من دون أخواتها الساميات — لا تعرف من بدايتها ما نعرفه عن أخواتها ، لأن لشقيقتها نصوصا كثيرة أوضحت معالم تاريخها .

بينما ما عثر عليه من نصوص عربية قديمة لا تعطى معرفة وافية بالبدايات الأولى في تاريخ عربيتنا .

ولأن ما عثرنا عليه من نصوص قديمة للعربية بعيدة كل البعد عن النصوص الأدبية الجاهلية ، التي وصلتنا في مستوى عال من جميع جوانب العربية : لسلوبا وصيفا واتقان معان ، ونقبة موسيقى .. ومعنى ذلك : ضياع حلقات عديدة من النصوص جعلت فجوات بين الأصول ، وبين ما نجده من حال العربية في نصوصها الراقية في الأدب الجاهلي : أي أن الدراسة اللغوية العربية بدأت بدراسة اللغة المدونة ، وما وصلنا منها يمثل حال فاقة وشباب . أما البدايات فقد لفها صمت التاريخ ، وأهمل الأبناء ، ورمال شبه الجزيرة العربية بقسوتها ورهبتها .

وفي هذا البحث المتواضع أردت أن ألقى بعض الأضواء على مشكلة « الثنائية » أو « الثلاثية » في الأصول العربية ، وهي مشكلة المع اليها بعض اللغويين ، وتعرض لها بعضهم صراحة لو ضمنا ، لكن في إشارات غير بعيدة ، ولا أبحاث عميقة ، مع أهمية البحث فيها وضرورته ، لأنها تمثل إحدى المشاكل الكبرى للفتنا ، إذ هي وسيلة للتأصيل في الدور النصري ، وكاشفة لتاريخ الاشتقاق ، وتطور المعنى ، وتخرج المبنى ، وإزالة التضارب بين اشتجار المعاني وتنافرها أو اختلافها :

فحين تحدث القواميس — مثلا — ، أن معنى (نهر) : الزجر ، أو الجريان والسيولة ، أو الضوء والسفا .. يحار المرء أملم هذه التناقضات أو الاختلافات ..

ولكن حين ترشد (الثنائية) إلى أن الجذر الثنائي : (نه) من (نهر) ، يعطى معنى : النهى ، والزجر ، والنهر . وأن الجذر الثنائي : (هر) يشير إلى معنى السيولة حين جريان الماء وسيولته . وأن الجذر الثنائي : (نر) ، يكتنز بحرف العلة فيكون : نلرا أو نورا فيبعد الظلام .. حين تتدخل

« الثنائية » وتمين وترشد وتقرب وتكنى - فيزول الاضطراب ، وتتغير
النظرة الى بعض ما ظفناه خطلا ، او تصورا ..

والله اسأل أن يكون بعض التوفيق خالقنى فيما سطررت فى هذا
الجانب ، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

توفيق محمد شاهين

مقدمة

اللغة ظاهرة اجتماعية غير مادية .. وتحتاج لذلك عند تحديد عناصرها ومعرفة ماهيتها الى عمليات متعددة غنية في التعميد والتداخل ، لتسحب عناصرها بين الارسل والاستقبال والتداعي والترجمة ، ويسبق كل ذلك تفكير وتقدير وتبصير : « فَبَارِكُ اللهَ احسن الخالقين » (المؤمنون : ١٤) فهي اكثر من اصوات ، واكثر من ان تكون اداة للفكر واكثر من ان تكون تعبيرا عن الاغراض لجماعة ما . ولذا صدق ان يقال : ان الانسان صار باللغة انسانا ، وبلغ بها العقل منتهاه ، واخذت بها الحضارة أوجها لخروء وانسائها .

وحين ترقى اللغة برقى أهلها ، تأخذ حيزا من القداسة ، يرفع شأنها ، ويدفع استمرار وجودها ، ويثبته بها أهلها .

وليس بغريب — اذن — ان يكلف باحثها الملوك والرؤساء والمفكرون والفلاسفة فضلا عن سيدتها وعلماؤها ، فابحث تلميحها وادراك كنهها لم تنقطع منذ فجر التفكير حتى الآن ، لما لها من أهمية وفراية .. اذ انها في الواقع جزء من كيانها النفسى والروحى .

ودارت الابحاث اللغوية — وتدور — حول التطور الخارجى للغة ، وحول التطوير — الداخلى لها : أى فى مجال البنية والطبيعة الصوتية من جهة ، وفى مجال الوظيفة الاجتماعية استعمالا واستقاما من جهة اخرى .

وعلى كثرة الابحاث المتتالمة والمتشعبة فى ماهية اللغة ، فان نتائج الابحاث لم تأخذ — غالبا — صفة التعميد الجامع المانع ، ويرجع السبب فى ذلك الى ان بعض الابحاث ذات الصلة الوثيقة باللغة ما زالت تحبو فى دنيا الكشف والمعرفة كتشريح المخ البشرى ، وتصنيف وظائفه وكشف مخبونه ، وديناميكية عمله المبرر المثير .

ورحم الله علمائنا القدامى ، فقد أسهموا بجدية ولصالة فى هذه الابحاث اللغوية بما أسعفتهم الوسائل وتيسرت لهم السبل . فاكثسفوا طرقا ،

وَأرسوا قواعد ، واصلوا ورجحوا .. فهم لم يكونوا عائلة ، كما لم يكونوا حملة بريد ، ولا ناقلى رسائل . كما يرميهم خصومهم وشائنتوهم .

ومنذ القرن الثانى الهجرى كان كتب سيويه لشهر كتاب يصفه مبادئ الأصوات والصيغ والتراكيب وتتابعتم الكتب القيمة بعده .

وخير من يكينا مؤنة النزال مند التحدى بتفصيل أدق وأشمل وأعمق ، وأخص ملامتنا : أبو الفتح عثمان بن جنى (٣٩٢ هـ) — طيب الله ثراه — بما قدم من بحوث مبتكرة فى فكر ثلعب فرض نفسه على الزمن بالدقة والأصالة والخلود ، ولعله خير من عرف اللغة الإنسانية الأولى بأنها : « أصوات يصر بها كل قوم عن أغراضهم » ، فأشار الى الطبيعة الرمزية الصوتية للغة من جهة ، والى وظيفتها الاجتماعية بين ناطقيها من جانب آخر ، وأن كان التعريف غير مانع ولا جامع كما يقول علماء المنطق ، فى شرط التعريف .

ولفتنا العربية أصيلة ، تنسب الى عائلة لغوية كبيرة مريقة مراقة التاريخ ، تعرف : « باللغات السامية » كما أطلق عليها (شلوتزر) العالم الألمانى وزميله (إيكهورن) .

وقد لعبت الشعوب التى تكلمت مجموعة هذه اللغات على مسرح الحضارة العالمية دورا حضاريا رئيسيا خلد على الزمن .

والعربية غنية ثرة ، حلت فى ثناياها عوامل تركيبها ونبائها ، ومن ثم ساهرت التطور الحضارى والفكرى ، وعبرت فى بسر عن الفكر الأصيل بكل إيماده حين أضحت لسان القرآن الكريم ووعاءه ، ووسمت الفكر الدخيل حين مست الحاجة الى التطلع اليه والاستعانة به .

وقد قطعت الأبحاث اللغوية — اليوم — شلوا بعيدا فى العديد من مجالاته ، بفضل ما تهيأ للباحثين من وسائل التقنية والتكنولوجيا الحديثة ، فكسان الجديد والمنيد والمثير ، ثمرة لعلمين متكلمين ، هما علم الفونتيك (Phonetique) وعلم الفونولوجيا (Phonologie) بما أسسدى

لدراسات اللغوية خدعت جلى وكشف ابهام كثير من لمور اللغة ومشاكلها
التي كانت تدور في تجويفات غير علمية ، وفي توهمات وتهويمات لا يتقبلها
العقل الحصيف ، ولا تثبت أمام النقد على أسسه وتحت مقاييسه .

ولم يعد بعض العلماء اليوم لسرى تعلم لغة واحدة ، فعرف كثير منهم
أكثر من لغة ، لتتضح أمامه الرؤية ، وتزول عنه حواجز القصور ، والحيز
الضيق ، والأفق المحدود .

ولفتنا العربية — كغيرها من اللغات — لها قضايا ومشاكل ، منها
ما هو خاص بها ، ومنها ما هو مشترك بينها وبين أخواتها الساميات وغيرها ،
مع ما يلحق بكل منها من لهجات ، مما أوجب اعتبار المجموع كلغة واحدة
تفرقت خواصها وأسرارها في مختلف اللغات الأخوات ، ويقتضينا ذلك
البحث والاستعانة بميزات لغة لغائدة شقيقتها ، في أنارة غامض ، وتوضيح
مشكل ، في لغة بها هو واضح وصريح في لغة أخرى . وبذلك يتم إيضاح
التناسق المعنوي والمنطقي ، وإزالة ما قد يبدو متضاربا ومتناقضا بين
أخوات السامية ، كما يزيل أخطاء ما وقع فيه الانحدار من خلط وتصور ،
نتيجة الجهل بلغة أخرى ، أو التصور في معرفة مميزات وتشابهات
المجموعات اللغوية كل على حدة .



ولفتنا العربية قضية خلامية ، طال عليها الأمد ، ولم يتضح وجه
الحق فيها حتى الآن إلا وهي قضية الأصل الثلاثي أو الثنائي لها .

لأن الساميات عموما تتفرد بصفة ظاهرة : ألا وهي الاعتماد على الجذر
والاشتقاق ، مما يوجب دراسة النشوء والارتقاء للأصول عسى أن تحل
مشاكل الاضطراب في القواعد أو الضوابط اللغوية بمعنى أصح ، وتزول
نقاط الخلاف في الشكوك والاضطراب ، وتخف مشاكل القاموس في النزاعات
والمتناقضات .

وفي هذه العجالة — سنحاول — بفضل الله — رسم القسيمة
والسمات البارزة في هذا البحث الشائك والزاخر ، والصعب المنهجية
لهذه القضية العلمية ، عبر القرون . عليه يسد ثغرة شاعرة ، ويجبر جانب
تصور في قلة الأبحاث العلمية للثنائية والثلاثية .

ومبدئيا — يلاحظ أن بعض الباحثين اللغويين بعد مرحلة « الاشتراك في الحرفين — أو في غير الثلاثية — مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها مجديا إلا ضمن البحث التاريخي ، لأنها بدء مرحلة غير ثابتة ، أي غير مبنى على بحث واستقراء واسعين للغة العرب ، التي تبلغ موداها : زهاء ثمانين ألف مادة ، كما ذكر في معجم (لسان العرب) (١) وأكثر كما في غيره. ولكننا ندعو إلى مزيد من البحث في هذه القضية للبت فيها ، إذ هي وسيلة للتأصيل ، وبخاصة لجلاء الطور الذي سبق التصريف ، وبيان أواصر العربية بلخواتها الساميت ، واستخراج النتائج التي من شأنها بيان التلاحق والانساق المنطقي والمعقول ، في سير توقع الألفاظ وتطور مداليلها (٢) .



ثنائيون وثلاثيون :

وكثرة من علماء اللغة يرون أن الرس والاصل للغة العربية هو الثلاثي: إذ لابد من حرف يبدأ به ، وحرف يوقف عليه ، وثالث هو الواسطة بينهما وذلك نظرية الصرغيين أيضا . . وإذا ثبت أن البحوث النحوية والصرفية في اللغة العربية قد تأثرت إلى حد كبير بالفكر اليوناني الأفريقي ، فلا غرابة في أن يركن فريق من الباحثين في هذه القضية إلى القول بالرس الثلاثي ، ومن هنا يريحون ويستريحون على قياس من المنطق الصوري .

على أن من علمائنا القدامى والمحدثين من بحث لمر الثنائية أصالة ، أو عرضا ، أو افترضوا وجودها في مصنفاتهم .

ويصف الأب مرمجي الدومني — سادن الثنائية — العلماء الذين طرغوا باب الثنائية عرضا أو افترضوا وجودها في مصنفاتهم بأنهم : « محتلون في سجن النظرية التصريفية المتبعة ، القائلة : بأن أصول الكلام أسماء وأعمالا مركبة من ثلاثة أحرف لا أقل » .

(١) فقه اللغة للعربية — د . إبراهيم نجا ص ٨٦ .

(٢) معجمات عربية سامية : للأب مرمجي الدومني ص ١١٢ .

وعد الأب مرمرجي — تحت عنوان — ثقيون أجنب ومصنفاتهم (١) من العلماء الأجانب — الذين بحثوا أمر الثنائية في لغتنا العربية وأيدوها — زهاء الخمسين عالما ، ابتداء من أوائل القرن الثامن عشر ، حتى منتصف القرن العشرين الميلادي . . بعضهم بحث أمر الثنائية في أيجاز على صورة أبحاث ومقالات ، وبعضهم توسع في بحثها فأخرج مؤلفات ومصنفات خاصة (٢) . فأمرهم لم يقتصر على العلماء العرب ، وإنما أسهم العلماء الأجانب بسهم وافر في بحث الثنائية في لسان لغتنا العربية ! ! .

ومن أشهر علمائنا العرب الذين بحثوا أمر الثنائية عرضا ، أو افتراضا وجودها :

- ابن جنى (٣٢٠ — ٣٩٢ هـ) في « الخصائص » .
- وابن فارس (٣٩٥ هـ) في « مقاييس اللغة » .
- والراغب الأصفهاني (٥٠٢ هـ) في « غريب القرآن » .
- والبيضاوي في « أنوار التنزيل » .
- وابن منظور الإفريقي المصري (٦٣٠ — ٧١١ هـ) في معجمه « لسان العرب » .
- ومحب الدين الزبيدي (١١٤٥ — ١٢٠٥ هـ) في قاموسه « تاج المروس » .

وأشهر من بحث أمر الثنائية من علمائنا العرب صراحة :

- أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٧ م) في « سر اللبال في القلب والابدال » .
- وجورجي زيدان في « الفلسفة اللغوية » .
- وإبراهيم اليازجي في « مجلة الطبيب » اللبنانية .
- والأب أنستاس الكرملي في « نشوء اللغة العربية » .
- وعبد الله الملايلي ، في « مقدمة لدرس لغة العرب » .

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق ص ٥ — ١١ .

- وعبد الله أمين ، في كتابه « الاشتقاق » .
- ويطرس السستلي (١٨١٩ — ١٨٨٣م) في مقحة محبة
- « البستان » .
- والشيخ طاهر الجزائري ، في كتابه (الكافي في اللغة) .
- ومنصور بوصالح في مجلة (الميناء) اللبنانية .
- والاب . ١ . من . مرجى الدومكي ، مزاويل الثنائية في كتبه العديدة
- ومن هؤلاء العصريين من ينقل عن المستشرقين ، او يستلهمهم راسا
- كما فعل جورجى زيدان .
- او لاحقا بواسطة سابق .
- ومن الطريف : ان من العلماء من يقول بان اصل العربية — احادية .
- قبل ان يكون ثنائية ، كما سنرى .



علم اللغة والتقدم التكنولوجى :

في عصر التقدم العلمى استفادت العلوم كثيرا ، واستفاد بالنألى (علم اللغة) لمدخل مجال التصوير والنسجبل والتحليل ، وعند رصد النتائج كان التقدم ملموسا ومرضيا (١) .

وعلوم اللغة متشاككة مع غيرها متداخلة في ارتباط وثائر وثائر ، فلم يبق المجال للعويين وحدهم ، بل حتم عليهم العلم الحديث ان يفسحوا مجالا لغيرهم من علماء : الأصوات ، والنشريح ، ووظائف الاعضاء ، ومبادئ علم الاجنماع ... ليقولوا كلمتهم ، فيتكامل بحث المقدمات على أسس منهجية ، ومن ثم تكون النتائج مرضية .. هذه ملاحظة .

(١) والأزهر حلمى ثراث المربية والاسلام رأى في علم ١٩٦٢ الا يحلف عن الركب الحضارى في مضماره ، وحتى يكون مطلوؤ لوى واكثر حدائه ، وحتى لا يغوته القطار حطط لمنح وابتعلت الى دول لها شأو في مصير التقدم .. الا ان هذه الخطط تعثرت حيا ، ثم بدلت الى دول شرقه تلهت لتلحق بعمر التكنولوجيا ، لأسباب لص ها مجال سردها .. فكار الامل سرايا واحسا لا يثير بنهضة ، ولا يعد لثمرة ، والامل اليوم كبير في بحث ونهضة تعيد للأمر سواءه واسواءه ، فتكون الاملة والاستعانة ..

وعمل اللغويين عموماً — في الحقيقة — كما يرى أصحاب المنهج الوصفي : هو تقرير واقع ، لا تحليل لنشأة هذا الواقع ، وتفسير الأسباب التي أدت إليه ، لأن اللغة حقيقة جدا ، ولم يلتفتا بحير نشأتها الأولى ، ولعلها نشأت مع الاتفاعلات والمواطف في جوانبها المتعددة وسأيرت الفكر في أدواره ويطوره .

نقد محدثت جميع اللغات الى شعوبها مزوجة بالعدم المنطق اذن ، هي ليست منطقية ولا قياسية تخضع لقوانين صارمة كما يقول أرسطو ، وكما يبالغ أصحاب المنهج الفلسفي .. وحسبنا اذن ان تقترب من الحقائق في احتفاء وبعملة ، وتفترض وتقيس : في اطار الاشياء والنظائر ، وما تسفر عنه الحفريات ، وما تصديه المتارفات .

وموقف أصحاب المنهج الوصفي — اذن — كموقف ، « صاحب الفقه عندما يقولون : « ما جاء على لسانه لا يصلح عن ملته » (١) . وابن جني يقول :

« العلل في جوامعها تعود الى المتكلم العربي : لا الى عوامل لغوية » ويقول ابن مضاء القرطبي : « لو ان العرب قالوا : أن زيد ، بتشديد النون وجر (زيد) ، أو أن زيد ، يرفع (زيد) ، لقولنا قولهم على انه الصحيح . ولكننا نعلم اولادنا الا يقولوا : ان زيد ، أو أن زيد ، بالجر او بالرفع » . ومعنى ذلك : أن علوم اللغة لا تخدم بالمنهج الفلسفي الصارم ، لانها تاريخها القديم ، وفرة شواهدا . وانما نستفيد ويفيدها المنهج الوصفي ، الذي يصف الواقع ، ويسأل الشقائق ، ويفرض القبول ، ويقيس الغائب على الشاهد .. وذلك ملاحظة اخرى .

وحين نفكر في حال اللغة العربية قبل ظهور المسيحية (أي قبل ظهور الاسلام بسبعة قرون) نجد أنفسنا في ظلام دامس .. فليس بين أيدينا نصوص عربية ترجع الى تلك العهود : فالتقدم ما عثر عليه لا يكاد يجاوز القرن الثالث الميلادي ، وليس معنى هذا ان اللغة العربية لم تكن موجودة

(١) نظريات في اللغة ، للاستاذ آتيس فريجة ص ٨٤ .

قبل المسيحية ، أو أنها أحدث من شقيقاتها السامية ، كالعبرية مثلا . بل يؤكد لنا المستشرقون أن اللغة العربية المكلفة لنا ، قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم ، أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى « (١) . ومعنى هذا : أننا مقدنا نقطة البدء التي تنطلق منها لدراسة لغتنا . . ولكن لبحث النحو المقارن للغات السامية كشف كثيرا من سمات وعلاقات الملامح والوشائج اللغوية لهذه المجموعة . . ومن هنا تحتم أن تتم دراسة العربية وتطورها وتاريخها في ضوء الساميات ، وقد توافرت وبصافرت مواد عديدة لتلك الدراسات في الحقبة الأخيرة من العصر الحديث .

وإذا نادى البعض بدراسة المجموعة السامية في ضوء المجموعة الحامية ، لتجاوز المجال الجغرافي للمجموعتين ، فهو جد مصيب ، لمظنة اننا نحن كدائب اللغات حين نتجاوز وحدتك .

وتتسع الدائرة الدراسية عند الأب أنستاس الكرملى ، حين يقرر بأن العربية قد أثرت حتى في مجموعة اللغات الهندية والأوروبية ، يقول : « كل كلمة ذات هجاء - مقطع - أو هجاين ، في الرومية أو اليونانية ، ولم تكن من أصل محوت ، بل من وضع أصيل ، أو توقيفى ، غلابد من أن يكون لها مقابل في لغتنا المضرية » (٢) .

ويستشهد لرأيه بأثلة كثيرة .

ومعنى ذلك أن عبنا جديدا سيمسك على معنى بلغنى اللغات بحامة ، ولغتنا العربية بخامسة ، غير أن المشتقات تهون . بجانب ازاحة السجف ، وتبديد الأوهام عن حقبة موهلة في القدم من تاريخ لغتنا العريزة ، بقيت هينا من الدهر في هجاب مستور .

وبعد هذه الملاحظة الثالثة ، نسلم نكرنا للمنهج الوصفى فبتوخنا عبر رحلة مفشئة ومثيرة في تتبع جانب لموى للغتنا المربية ، يتطلب مريدا من البحث لمزيد من النور .

(١) اللهجات العربية ١ . د . إبراهيم أنيس ص ٢٢ .

(٢) نشوء اللغة العربية ونموها واكملها ، للأب أنستاس الكرملى ص ١٥٨ .

الأحادية في اللغة

نقف الآن وقفة بين يدي « الأحادية في اللغات بعملة » ، وفي العربية بحاسة » .

يرى بعض العلماء أن كل لغات العالم القديم تعلقت عليها أطوار وأدوار ، وأن طورها الأول ، جعل من كل كلمة من كلماتها (هجاء واحداً ، فتوضع الكلمة أحداً بعد الأخرى ، بحسب نظامها النطقى لنوعية المعنى المقصود ، ولغة الصين إلى الآن على هذا الوضع) . ويؤيد ذلك الشيخ (١) العلابي للعت كلها (٢) — وأن دورها الأول : (ذو القطع السيط ، أى أدنى المقاطع ، مثل (a) وهذا هو الدور الذى ولد المقاطع الأحادية ، والتي هي الجدول الهجائى الميسقى المنفيل ، وسنذكره فيما بعد ، ويرى أن هذا الجدول يحدد المعنى الكلية التى صاحبت نشأة الحرف في السنة الناطقين الأوائل باللغة .

وهذه المرحلة قديمة قدم التاريخ ، تربط بين اللغة والإنسان الفطرى الذى (لا يكاد يرتفع عن مستوى النوع ، الذى هو فصيلة من فصائله المشاكلة) .

(١) الشيخ الملايلى نائب النظر في اللغة العربية ، بفكر نائب ، وذم رائى ، ويحيد عدة لغات ، وشرع في محاولة جريئة لوضع (المعجم العربى) وحده ، لوثوقه من نمسه نجاعت محاولة فذة ، حبذا لو ثبتتها المعاجم اللغوية ، لنتم ما بدأ .. وما رابته في (بيروت) على مدى عشرين — أمس الله في صبره — ألا عاكفا على قلوبس تقديم مراجعه ، أو فكرة لغوية يحللها ، أو شاردة وواردة يقيدها .

(٢) مقدمة لدراسة لغة العرب ، للشيخ العلابي ص ٢٢ .

ويرى الشيخ ان هذه الأصوات لم تطبع بطابع خاص يميزها ، بل كانت جارية مجرى الأصوات الاضطرابية ، التي تولدت عن الانفصالات ، ولم تشكل فيها الأصوات ولم تتميز فيها المقاطع : (كالعين ، والعين ، والاصح ، والهمهمة ، والزحر ، والتحيم) وضرب لذلك مثلا بالمقطع (عو) بضم العين ، الذي يدل على الحيوانات الزئيرية و (وا) الذي يدل على الصوت المكرر بحركة الفكين ، وعنه نشأ الفعل (وو) بمعنى وصل في العصرية . ثم تطورت هذه الأصوات حتى أصبحت ذات أعراس ثلثه بعد تولد المقاطع الأحادية ، ومنها تكون الجدول الهجائي ، والذي أخذت منه كل لغة ما يناسبها من أصوات ، وكل حرف صامت ، أو مصوت (حركة) في هذا الجدول له دلالة مستقلة و « من الممكن جدا تعيين دلالات هذه الحروف بأصواتها حين كانت لغة .. على شيء من الافتراض المطلوب ، وسبيل هذا التعيين المعلمات (أي الأفعال المعثلة) مطلقا وبالأخص الهميم مطلقا في العربية ، وليس اعتمادها بأحد معانيها المعجمية على وجه التحديد وإنما تنتقل بها بالمقارنة الى ما هو الإدخل في تفكير السامعين واعتباراتهم » .

وأحال الشيخ العلابي على لغات سامية ، للحصول على نماذج تقرب الدلالة الأصلية للحرف أو الصوت :

فالثقة (الميثيقية) استخدمت في رسم مقطع الألف (ع) شكل رأس الثور ، ومعنى هذا المقطع أيضا هو رأس الثور .

وبمثل هذه الحروف كانت تدل على اجنلس معانيها الميثيقية في العهود الأولى .

فبداية استعمال الانسان للغة كانت لحادية ، في صورة أصوات وحروف منفصلة ذات دلالات تقنية ، ثم تطورت هذه المقاطع الأحادية الى ثنائية وثلاثية .. كما صورها الشيخ العلابي في اختراصاته وتصويراته المنتية على الشواهد وسنة الرقى ، وارتقاء الأدوار .

الجدول الهجائي الفنيقي :

نُثِبَ هنا نص الجدول الهجائي (١) ، الذي رآه الشيخ العلايلي نواة للغة في دورها القديم :

١ — الهمزة : تدل على الجوقية ، وما هو وعاء للمعنى ، وتسدل على الصمة غالبا .

٢ — الياء : تدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغا تاما ، وعلى القوام الصلب بالتفضل .

٣ — الفتحة : تدل على الاضطراب في الطبيعة ، لو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديدا .

٤ — الناء : تدل على التعلق بالشيء تعلقا له علاقته الظاهرة ، سواء في الحسن أو في المعنى .

٥ — الجيم : تدل على العظم مطلقا .

٦ — الحاء : تدل على التباسك البالغ ، وبالأخص في الخفيات ، وتدل على المائية .

٧ — الخاء : تدل على المطاوعة والانتشار ، وعلى التلاشي مطلقا .

٨ — الدال : تدل على التصليب ، وعلى النغير المتوزع .

٩ — الذال : تدل على التفرّد .

١٠ — الراء : تدل على الملكة ، وعلى شيوع الوصف .

١١ — الزاي : تدل على التنقل القوي .

١٢ — السين : تدل على السعة والبسطة من غير تخصيص .

١٣ — الشين : تدل على التفتش بغير نظم .

١٤ — الصاد : تدل على المملجة الشديدة .

١٥ — الضاد : تدل على الخطبة تحت الثقل .

١٦ — الطاء : تدل على الملكة في الصنعة ، وعلى الانطواء والانكسار .

١٧ — الظاء : تدل على التمكن في الفؤور .

١٨ — العين : تدل على الخلو الباطن أو الخلو مطلقا .

١٩ — الغين : تدل على كمال المعنى في الشيء .

(١) المصنوع السليق ص ٣١٠ .

- ٢٠ - الفاء : تدل على لازم المعنى (أى الوضع فى المعنى الكنائى) .
 ٢١ - الغافق : تدل على المفاجأة التى تحدث صوتا .
 ٢٢ - الكاف : تدل على الشيء منتج عن الشيء فى احتكاك .
 ٢٣ - اللام : تدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه .
 ٢٤ - الميم : تدل على الاجتماع .
 ٢٥ - النون : تدل على البطون فى الشيء ، او على تمكن المعنى تمكنا
 تظهر أعراضه .

- ٢٦ - الهاء : تدل على الثلاثى .
 ٢٧ - الواو : تدل على الاتفعال المؤثر فى الظواهر .
 ٢٨ - الياء : تدل على الاتفعال المؤثر فى البواطن .
 وفى نظرة سريعة للمعانى التى اثبتتها الشيخ للجدول الهجائى ، نجد :
 تمكنه واحاطته اللغوية ، لطول محاملته وكلفه باللغة .
 كما نجد ان المعنى تحيط بحاجيات الانسان الاول ، بل وتنفوقها ،
 عندها :

الشيء وصفته ، واللى والصلاة ، والاستقرار والقلق ، والتماسك
 والثلاثى ، والتفرد والاجتماع ، والعلة والانكسار ، والتوقع والمفاجأة ،
 والطبع والتطبيع ..

ولذا يدعونا الشيخ العلابلى واضمو اللغة الجديدة الى الاتدام على ،
 الوضع ، لنفى لغتنا بما نطلبه منها ، بدور تردد او خوف ، لانه : «تقرير هذه
 القواعد للاستقاي أصبح الوضع معينا جدا : فهو من موضع المادة فى
 التوزيع ، ومن هيئة - اجتماع الحروف يعين الخصوصية فى غير تكلف .
 » .. مروح الشيخ الذائرة تدعونا للوضع الجديد ، وهى دعوة حرية
 بالنظر والفهم والتنفيذ ، حتى لا ننتهم لغتنا بالمقم او القصور والجهود « (١)
 والتشبيح فى تصويره السالف يصور مرحلة هو رائدها وحسبها
 ومشدها ، ولا دليل فيها ينير الطريق ، وجاءت - مع ذلك - اغتراساته
 مرضية ومقبولة ، ونرجو ان نتقبل .

(١) فى السطور اللغوى ١ ، د . د . عبد الصبور شاهين ص ١١٢ .

ومن ثم فلا نرى الاعتراض عليه بل أنه يضرب في (ميخافيزيقا التاريخ) .
أو أنه يخلط بين مراحل النشاط اللعوي ونشأة اللعبة ذاتها .

ولأن التمثيل من لغات أخرى هروبا من انعدام امكانية التطبيق على
لعبة : فمن شقيقتي يصرن الطريق في الدراسة جنبا إلى جنب ، لو أن الدعوة
للموضع الجديد ربما تنقلب إلى عملية اختراع عربية أخرى ، أو انعدام
اشتقاقات أخرى مخترعة تبعدنا عن مألوف لغتنا .

أو أن الدعوة ربما تتطور من تطوير بناء نلجح إلى عملية تدمير واعصار
لتدمير لعوي حطير :

فالامن متوفر ، والحماية مضمونة ، لأننا نسير على أسس ، ولا نبني
من خراع ولا في هواء . . والشيخ العلابي مجتهد . ورائد يؤسس لمرحلة
يقوم فيها الاقتراض والنصور ، ومراعاة سنة التطور بدور كبير . . وهي
على كل مرحلة تصورية أن كان فيها وهم قليل ، ففيها حيل خصب ،
وارهاص بال في لغتنا غناء ، وأنها لا تبدد يدها كثيرا للاقتراض ، وأنها
تهدها للاقتراض .

على أن الشيخ العلابي لم يكن يدعنا بين كثير من اللغويين القدامى ،
الذين أشاروا إلى تريب من قوله هذا ، وبخاصة في نظرية (المحاكاة) ،
سواء من قال بها على أنها ذاتية موجبة ، كما نلدي (هيراطليطس) والصيرى .
أو أنها قواطية واعضائية ، كما قال (ديمتريطس) . لو من ذهب مذهب
وسطا بين هؤلاء وهؤلاء .

وقد تلقف ابن جنى النظرية من الخليل بن أحمد ، وسيبويه ، ثم حمس
لها ودافع عنها كثيرا في (خصائصه) : بأن أصواتا معينة تدل على مكان
معينة . وأن من ترتيب الأصوات ومراحل ما تدل عليه أن كل ما تدل عليه
حدثا مناسبة طبيعية ظاهرة . وقد سمي الباب الأول : (الاستقلاق الأكبر) ،
وسمي الثاني : (تصانيف لتصانيف المعاني) ، وسمي الثالث : (أمسلس الألفاظ
أشباه المعاني) . (١) كما سيجيء

بل وأضاف العلماء أن اختيار الحروف وتشبيهه أصواتها بالأحداث

(١) الخصائص لابن جنى ٢ / ١٢٥ .

المعبر عنها بها ترسيباً ، وتقديم ما يضاهي أول الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي أوسطه ، موقفاً للحروف على سمت المعنى المقصود ، والفرض المطلوب . (١) كما ستذكر .

وفي العصر الحاضر ذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جني طائفة من علماء العربية ، تفكر منهم — على سبيل المثال لأعلى سبيل الحصر — الأستاذ محمد المبارك ، والدكتور صبحي الصالح ، والاب مرحجي اللومكي ، وخورجي زيدان ، وخير الدين الأسدي (٢) .

فل أن بعض المعاصرين ذهب إلى أن الأصوات تدل على معانيها مهما يكن موسمها من الثلاثي . وضرب بعضهم مثلاً لذلك بلفظة (غرف) : فالعين تدل على الغبوض ، وهي بذلك تناسب أول مرحلة من مراحل حدث (الغرف) ، عندما يقويب الخارف يده أو معرفته في السائل .

ولأن الراء تدل على الحركة ، وهي تناسب المرحلة الثانية من الحدث عندما يحرك الخارف معرفته في السائل قبل أن يرغبها .

وأن الفاء تدل على الظهور والافتتاح والفصل ، وهذا يناسب آخر مراحل الحدث عندما يرفع الخارف معرفته فينبصلها عن السائل ، ويظهرها بعد أن كانت مستقرة (٣) .

فلا مبرر — بعدئذ — لوصف الشيخ الملايلي — حين المبح إلى الجدول الهجائي الفنيقي — بالأسراف الزائد ، والخرافة المبنية على الأوهام ، والزمم المبني على غير أساس ، والتكلف الجامع . . كما ذكر الأستاذ محمد الأنطاكي ، حين يقول :

« وأسرف بعضهم في هذا اسرافاً زائداً أخرجه من دائرة البحث العلمي المنهني على الحقائق إلى دائرة الخرافة المبنية على الأوهام ، من هؤلاء الأستاذ عبد الله الملايلي ، الذي يزعم أن كل حرف من حروف الأبجدية

(١) الخصائص ١٦٢/٢ .

(٢) الوجيز في فقه اللغة ، الأستاذ الأنطاكي ص ٢٥٤ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٥٥ .

العربية يدل على معنى خالص ، وأنه إذا عرفت معنى الحروف أمكن معرفة الكلمة العربية ، ولو لم تكن معروفة من قبل . ثم يحضى فيجعل لهذه الحروف معنى فلسفية لا تظن لها خطرت يوما على قلبه الإنسان العربي ... » (١)

نقول : لاداعي لذلك الهجوم ، ولم يقدم المعارضون البديل ، ومحاولة الشيع العلالي أن كان فيها خيال كبير .. فلعلنا يرفده ، وشواهد السابقين تسائده ، والوارد من الأمثلة يواكبه .. ولقد ذكر الأستاذ الأنطاكي في كتابه : « أننا إذا طرحنا كل أنواع المكلف الذي وقع فيه العلالي وغيره ، فإنه يبتى لدينا كمية كبيرة من الشواهد لا يمكن تجاهلها . وهي تشير بما لا يدع مجالا للشك : إلى وجود مناسبة طبيعية بين اللفظ والمعنى » . (٢) ويمثل ذلك اعتراف (فندريس) العالم اللغوي ، وإن بعض الأصوات الدر من بعضها على التعبير عن معان معينة . وذكر أن الفنانين للارتباط بين اللفظ والمعنى اعترفوا بمثل هذا القدر من الارتباط (٣) .

وحسبنا اعتراف العلماء بهذه الظاهرة ، وإن الكمية الواردة والمعترف بها كبيرة .

بالأحادية — ولاشك — كانت مرحلة ، ثم تخطتها البشرية عندما صنعت لها حُرصة تطور ، وظرف رقى وترقى .

وما غننت لغات — حتى يومنا هذا — في مجموعة الهند وأوروبا (كالهندية الصينية) تضع عددا كبيرا من مخدرات معجمها من حرف صامت واحد ، تؤثر فيه النبرات الصوتية (Tone) ينقل بفضلها إلى معانيم كثيرة ومختلفة ، كما في (Fan) (٤) .

(١) الوجيز ، للأنطاكي ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ . وتهذيب المقدمة اللغوية للعلالي الدكتور أسعد علي ص ٦٢ ، ٦٤ .

(٢) الوجيز ، للأنطاكي ص ٢٥٧ .

(٣) اللغة ، لفندريس ص ٢٣٦ .

(٤) الأصوات لـ د. إبراهيم نجا ، ص ٦٠ ، والأستنية العربية للاستاد

ريسون طحان ص ٧٧ .

فالكلية الصينية تتكون من مقطع واحد مفتوح أو مغلق يدل على معنى عام يحدده السياق .

ويؤيد ذلك الدكتور محمد مصطفى رضوان ، في مقاله القيم ، يمثل :
(ت Ta) فهو يفيد معنى عظيم ، أو كثير ، أو يعظم ، أو عظم . والطريقة
التي تتبع في ترتيب اللفظ تحدد المعنى المراد ، فإذا قيل : (ت كوك Ta Kuok)
كان المعنى ، الدولة العظيمة ، وأن عكسنا الترتيب ، وقتلنا : (كوك ت Kuok Ta)
كس المسمى : الدولة عظيمة ولعل اللغات السامية — ومنها العربية —
استهجت هذا المنهج في بداية أمرها .

لو قريبا من هذا المنهج ، بالرغم من أنه ليس لدينا من الوثائق التاريخية
ما يفيد الجزم واليقين .

لكن غالب الظن أنها سارت ذات المسرب ، ثم انقلبت في مرحلة ثانية
إلى التثنية والثلاثية عبر آلاف السنين (١) .

وقد آس بالتطور كثير من الباحثين في تاريخ اللغات الآرية ، ومن
أشهرهم : (بوب Popp) من القدياء ، و (وود Wod) و (وثن Whitney)
وجيرسبيرسين (Jerspersen) من المخبرين .



وقد أشار علماء العرب إلى أن للحرف في اللغة العربية قيمة تعبيرية
وتد انخفض في ذلك العالم اللغوي مجد الدين الفيروزآبادي ، في محتج كل
فصل وباب من كتبه (٢) .

وذكر بعض المحققين أن حرف الهاء في العربية يدل على : الانسباط
والسعة والراحة أما حرف الهمزة ، فيدل على الظلمة والانتطاب والخفاء ،
والحزن ، ومثل لذلك بالكلمات : (غيم ، قم ، غين ، غبطة ..) وقد تساءل

(١) مجلة كلية الآداب الليبية ج ٤ — سنة ١٣٩٢ هـ .

(٢) يصائر قوى السبب في لطف الكلب العزيز للعلامة الفيروزآبادي .

بعضهم بقوله : وكيف تفسر : (غنى ، وغتج ، وغلان) (١) وأقول : بقليل من التأمل ترد إلى الخفاء واللفظة .

واحتفى الأستاذ محمد المبارك — كما ذكرنا من قبل — بظاهرة اشتراك الحظ من مواد مختلفة في حرف واحد وفي جزء من معناها : فالألفاظ التالية ، وبها كلها حرف الغين مثل على الغوض والاستقار ، وعلى في مجالات كثيرة : (غلب ، غار ، غاص ، غلض ، غلم ، غرب ، غمض ، غم ، غش ، غز ، غص ، غط ، غير ، غبش ، غبن ، غبق ، غفا ، غطى ، غفر ، غبر ، عرق ...) .

والنون في الألفاظ التالية ، وبها معنى الخروج أو الظهور : « نبع ، نبر ، نبت ، نيز ، نبه ، نبا ، نجم ، نطق ، نفت ... » .

ولذلك يدعو الأستاذ المبارك إلى البحث في الصلات بين الحروف والمجموعات اللفظية مشيراً إلى أن ذلك سيكون كالنفا عن أصول العربية وتاريخها الطويل ، ويميزتها على أخواتها السلبات وإلى قياساتها المطردة ، يقول :

« واعتقد أن البحث في الصلة بين المجموعات الثلاثية وبها يمكن أن أسميه (التركيب الثرى) للكلمة ، هو بحث تاريخي يرجع بنا إلى عهد قديمة للغة العربية ، استقر في نهائنها على شكل هذه المجموعات الثلاثية الرائعة ، التي كانت نتيجة تطور لأراحل تكوينية سبقتها ، تحتاج معرفتها إلى بحوث تاريخية واسعة تتناول اللغات السامية جميعاً ، وتنتهي إلى تعليل بقاء العربية وحدها دون غيرها من السلبات . وتوهى هذه الأمثلة إلى أن تركيب الكلمة العربية يشبه كثيراً تركيب المواد الطبيعية المؤلفة من ذرات متفاوتة التركيب » (٢) .

ويمطينا الشيخ العلايلي تصوراً مقبولا للقيمة التصيرية للحرف المفرد ، لدور سابق ومرحلة موغلة في قدم التاريخ البشري : فيرى مثلاً ، أن حروف (ح ب ل) تعطي تصوراً صحيحاً عن الجبل في ارتفاعه وشموخه ،

(١) نظريات في اللغة هي ١٦ .

(٢) عبقرية اللغة العربية ، للأستاذ محمد المبارك ص ٢٢ ، ٢٣ .

واتصاله وتثكنه ، يقول : (الجيم) معناه الارتفاع ، وحرف (الباء) معناه البيت وحرف (اللام) يرمز الى الملاصقة . والمعنى المؤلف من الحروف مجتمعة : (بيت مرتفع ملاصق للسحاب او للأرض) ، وهو قصور صحيح ومقبول عن (جيل) .

ويحل كلمة (سمك) الى (كف الماء القوى) ، هكذا : (السين) معناه الدعامة وهو يرمز الى مطلق القوى . (والميم) ترمز الى المياه . (الكف) بمعنى الكف وهو يرمز الى مطلق التبسيط في صفر . وهذا ايضا تصور مقبول وصحيح عن (سمك) .

ومما ألفت الاعتراضات تتوالى على الشيخ الملايلى (١) : بأن الحرف وان أوحى بجزء من المعنى ، الا أنه لا يملك التعبير عنه بلفظه ، ومعنى ذلك أن الحرف بمفرده تنعدم قيمته التعبيرية ، وان فوحى جرسه بشيء قريب من المعنى .

ومن علماء اللغة من أنكر للقيمة التعبيرية للحرف الواحد ، صراحة ، ويرى « أن الطبيعة عينها بيالة الى الثنائية ، لا الى الأحادية » كما يتوهم بعضهم أن الإنسان الأول بدا يتكلم بحروف منفصلة ، لأن الحروف المنفصلة لا وجود لها الا في جدول الأبجدية ، أى فى الكتابة لا فى اللفظ ، والسبب : أن أعضاء النطق عينها لا تخرج للنكلم (حروفاً سليمة متفرقة) بل مقاطع مركبة من الصلابة ، تحركها الصلابة (٢) .

وهذا الرنض المطلق لا نوافق عليه ، اذ لن لغتنا قد عرفت فعلاً قيمة تعبيرية للحرف الواحد ، كما أوحى بفروق دقيقة بين حرف وآخر ، قرب مخرجها أو انحد .. كالفرق بين حروف (الحلق) الستة — الهيز والهاء ، والميم والحاء ، والفيين والخاء — وثقلوت المعنى بين التعبير بالصاء أو الخاء ، كما فى قوله تعالى : « فَيَهِيَا عَيْنَانِ مُضَاعِفَتَانِ » (٣) وفى الآخر « كل اناء بما فيه ينصح » ففى الخاء شدة وقوة ، وفى الحاء ضعف ورخاوة ، مع انها

(١) فى التطور اللغوى ص ٩٨ .

(٢) معجمات عربية سلبية ، للاب مرمرجى الدومنى ص ٩٨ ، وذكر

(سدرى) مثل ذلك فى كتابه (اللغة ص ٢٣٦) .

(٣) الرحمن : ٦٦

(الخاء والحاء) حلقيان إلا أن الآية عبرت عن شدة النضج والفلا الأثر رخاوته . . فضلا عن أن هناك من الحروف . ما زال أمره محيرا : أفرغ من محتواه لم وضعته العرب كذلك كحروف العطف (الواو والفاء) وحرف الجر (الباء) . . فنحن نؤيد أن الحرف استعمل واستقل بقية تعبيرية في مرحلة معينة ، حتى واكبته أسباب حيائية ومعيشية أخرى ، منتقلة مع صاحبه والمعنى إلى دور أرقى من حوار الحياة على سنة التدرج الطبيعي ، وأحيانا إلى العكس .

وأحدث الآراء اليوم هو القائل : بأن اللغة نشأت كغيرها من الظواهر الاجتماعية نشأة مفاجئة .

ثم تطورت بمرور الزمن وتتابع التجارب ، وقد أدى تبين المشاهدات التجارب وتنوعاتها واختلاف البيئات والأوساط والطبائع إلى اختلاف اللغات .

من أسرار العربية :

اللغة — إذن — لم تبدأ — في أول أمرها — بالمنطق والفكر ، ومن ثم تبينا المنهج الوصفي في تتبع تاريخها ومحاولة الكشف عن حقيقتها الحقيقية ، ولم نتبع المنهج الفلسفي الاغريقي الذي ادعى أن اللغة منطقية .

وتفرد مجموعة اللغات السامية بعبارة ظاهرة ، هي الاعتماد على الجذر والاستقاق وفي لغتنا العربية نجد أن كل مجموعة تشترك في الجذر الأصلي ومعنى عام يؤلف الطبقة الأصلية المشتركة لمفردات المجموعة . وثبتت الحروف الأصلية يساعد على كشف العلاقات بين اللغات :

نالمصدق والصداقة . . من مادة (الصدق) . والمعدو ، وعدا واعتدى . من (العدوان) وهو التجاوز في الظلم .

ومحمل ذلك : (أن المعاني العملية أو الكلية تتجمع في مجموعات من الألفاظ هي أشبه بالقبائل العربية ، ويبقى في اللغة دائما عنصر خالد ثابت في مادة الألفاظ . . وفي معانيها « (١) . وبقيت محافظة على أنسابها مهما نامت ديارها .

وحين لمس علماءنا الإقدامى المنسبة بين اللفظ والمعنى أشاروا إلى تلك الظواهر ، وتبعوها من قديم : ومقد لها ابن جني فصلا في خصائصه ،

(١) عقريّة اللغة العربيّة ، للاستاذ محمد المبارك ص ١٩ .

بمعنوا (يلب إمسلسي الألفاظ أشباه المعاني) (١) ، فكر غيه : أن التحليل
أبن لحد ، وسيبويه ، قد نبها عليه ، وإن جماعة اللغويين قد ثقتة بالقول . .
وحددوا الأماكن التي تكون فيها هذه الظاهرة واضحة جلية .

كما تظهر في الألفاظ التي تحكى لصواتا ، كخزير الماء ، وأزير القدر .
أو في المصادر التي تتلحح حركاتها ، كالظلمان ، والدوران ، والحمري
والبشكى .

أو في حروف إذا تصدرت الفعل نقلته من حال إلى حال : فالمعمل
(غفر) بنيد ثبوت المغفرة ، وحروف الاستقبال ، تنقله إلى طلب المعبرة
ورجاء تحقيقها في (استغفر) .

كما تظهر في اختيار اللفظ المناسب للحدث قوة وضعما ، هذوا لمسموع
الاصوات على محسوس الأحداث : فالنضج (بالحاء) لرش الماء برقة ،
والنضج (بالخاء) لشدة نوره وقوته ، اذ في الحاء لين ورخاوة ، والخاء
تزيد عليها شدة وقوة . . ومن هنا تلحح سر الإعجاز في التعبير القرآني
عن منع الجنة ونعيمها : « فيها عينان نضاختان » بالخاء ، وفي الأثر (كل
أناه بما فيه ينضج) بالحاء . وأيضا مثل : (خضم) لاكل الشيء الطرى ،
و (قضم) لاكل الشيء اليابس الحاف : اذ في الخاء رخاوة ، وفي القاف
صلابة . والله در أبي ذر - رضى الله عنه - حين صاح منكرا على الحكام
نعميهم وترغمهم وشظف عيش رعيتهم : (ويخضمون ونقضم ، والموعد الله) .

بل عد علماء اللغة من لطيف صنع العرب وحكمتهم اختيار الحروف
وتشبيه اصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبا ، وتقديم ما يضاهي أول
الحدث ، وتأخير ما يضاهي آخره ، وتوسيط ما يضاهي لوسطه ، سوتا
للحروف على سمت المعنى المقصود ويمثل ابن جني لذلك بحروف (بحث) :
(غاباء) لفظها تشبه بصورتها خفة الكف على الأرض ، و (الحاء)
لصحتها تشبه مخالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما إذا غلرت في الأرض .
و (انشاء) للمعش والبث للتراب (٢) .

(١) الخصائص ١/٥٤٤ .

(٢) الخصائص ١/٥٦٦ .

ولكثر من ذلك ، نجد أن المعنى العام لماق مع تقليب حروف المادة ، وقد نه على ذلك القدامى كلفظيل بن لحود ، وابن دريد ، والفرسي ، وسماه ابن حنى بالاشتقاق الأكبر . والمادة الثلاثية تعطى ست مواد في تقاليبها ، والرباعية تعطى أربعاً وعشرين ، والخمسية تعطى مائة وعشرين ، وقد سُمِّم كل التقليب أو بعضها أو تهمل كلها لإهمال الأصل . فتقليب (مسلم) الستة تفقد معنى السهولة والأصحاب والملاينة .

وتقاليب (جمر) تدور حول معنى علم هو الشدة والقوة (١) في (جبر جرب ، بحر ، برج ، ريج ، رجب) .

ويرى الشيخ العلايلي ، أن : « القاعدة تقتضي بوجود جامع معنوي بين المقاليب الستة ، لا يمكن أن يتخلف ، وإن كان على بعد » (٢) .

وهكذا ظل الاشتراك في كل الحروف أو بعضها ، مع الصلة الصوتية السبيل لمعرفة الأصل ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس الحشد الهائل والأمثلة الوفيرة لتبيان ذلك ، إذ قد شارك أصحاب المعجم في جمع الكلمات المشتقة من مادة واحدة في باب واحد ، وزاد عليهم بتتبعه لمعاني ^{بعض} الباب الواحد ، وأرجاعها إلى أصل واحد ، لو عدة أصول من الأصل .

ولذلك ننص لانذهب مذعب الأب مرجى الدومني — وهو مسبق في ذلك الرأي — حين ينفي وجود علاقة طبيعية بين الصوت وحروف الكلمة ، وبين « المعنى المنطوق بها » ، لأن الأصوات مجردة ليس من طبيعتها ما يجعلها دالة هنا على الشيء الفلاني ، أو المحوى الفلاني ، وإنما تنشأ الصلة بين الصوت ومعناته اتصالاً ، أو بإرادة المتكلمين عن طريق السماع أو الاستعمال ... إلى أن يقول : « أننا لا نجد أن لبعض الكائنات دوى ، وللحيوانات أصواتاً ، بيد أن النفس يحاكون هذا الدوى ، وهذه الأصوات بطرق متشابهة ، إذ أن كل فريق يتوهم سماع نوع من الدوى والصوت فيحاكيها ، طبقاً لهذا الوهم » (٣) ونقول له : حسبما الدوى والأصوات وتوهم الموهمين ، ليصوغوا منه ما يفهمون وما ينطقون .

(١) الجوهرة لابن دريد ١ / ٢٠٧ ، والخمسة ١ / ٥٢٥ .

(٢) مقدمة ، للعلايلي ص ١٤٩ .

(٣) معجيات عربية سلمية ، للأب مرجى ص ١٠٢ .

وتد بهرت هذه الظاهرة العجيبة في لغتنا علماء اللغة ، وهي وشائج
القربى والصلات الواضحة بين المجموعات اللغوية ، سواء اشتركت في
حرفين أو في حرف واحد مما يوحي بأن القول بالأحادية في نشأة اللغة له
أساس : ثم تدرجت من هذا الدور نحو الاكتناز ، لتقى بما يطلب منها تبعاً
لقتضيات التطور .

فالكلمات المشتركة في الحرفين (ن ، ف) تدور حول معنى الحروح ،
مثل : (مفت ، تفج ، تفخ ، نقد ، نقذ ، نفر ، نقس ، نفج ، نفق ، نفل ، نفى)
وكل ما فيه حرف النين (غ) يدل على الغموض والاستتار ، مثل
(غاب غار غامس غاض غلم غرب غبض غم غش غز غص غن غبر غبن غبق
غما غطى غرق غمر غفر) ...

وفي ملاييس ابن فارس الشيء الكثير من ذلك كما قلنا ..

وكانت اشارات علمائنا القدامى والمحدثين الى ذلك احياء وباعنا حيننا
بهذه المعرفة الرأى في نشأة اللغة العربية والقول بالثنائية أو الثلاثية .
ثم ان الأقدمين — من علمائنا — لم يسيروا صراحة الى القول بالثنائية
وانها لم الوضع ، وانما كان بحثهم تاريخياً ، يرجع باللغة الى عهود
تحاول معرفة تدرج الفاظ اللغة وتطورها ، حتى استقرت في طورها الأخير
الى صورها وأشكالها المرضية والمعبرة والمنجدة .. وازدادت الأبحاث عمقا
عند المحدثين في ضوء اسكك المجموعات اللغوية الأخرى ، وبخاصة في
السايبات .



نظريّة الثنائيات

النظرية الثنائية ، لو المذهب الثنائي في اللغة ، يقوم على اعتبار
الأصول اللغوية — في الأسماء والأفعال — ثنائية : أي يتركب كل منها من
حرفين لسبيين وأن الأصول الثلاثية وما فوقها مستبعدة من تلك الأصول
الثنائية .

ويرى الأب مرجى الدومني أن الجذر الثنائي يشمل المجموعة السامية
في عمومها ، يقول : « الثنائية » Bilitteralline هي النظرية الثالثة لأن
(الأصول) في العربية ، وكذلك الحال في لغواتها السامية : ليست الألفاظ
فوات الحروف الثلاثة ، بل فوات الحرفين ، إذ من شأن الثلاثيات أن ترد
إلى الثنائيات « (١) .

وجورجي زيدان يرى « الثنائية » في النشوء اللغوي بالاستقراء ، فيذكر
أن الألفاظ الدالة على معنى في نفسها ، يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول
ثنائية أحادية المقطع تحكي أصواتا طبيعية « (٢) .

أي أن الثلاثي وما فوقه يرد إلى ثنائي سابق ، لاقى الاشتقاق قطع كما
عنده القدمون حين ذهبوا يطبقونه في الإبدال وتماثل الحروف ، بل في
النشوء اللغوي أيضا .

ويشير زيدان إلى بعض أسباب نشأة « الثنائية » ويؤكد الحصر
والاستقراء ، يقول : « لغتنا مؤلفة من أصول محصورة عدا ، أحادية
المقطع ، معظمها مأخوذ من محاكاة الأصوات الخارجة ، وبعضها من
الأصوات الطبيعية ، التي ينطق بها اللسان غريزيا « (٣) .

والشيخ العلايلي يرى الثنائية دورا ثانيا من أدوار اللغة في حياة
الإنسان ، الذي يحكي الطبيعة بقصد ، أو بغير قصد ، فأكسبته المحاكاة

(١) المعجزة العربية ص ٦ .

(٢) الفلسفة اللغوية لجورجي زيدان ص ٢٨ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٤ .

أكثر المقاطع الثنائية التي يمكن فرضها ، وبخاصة إذا كانت ناشئة من ضم بعض المقاطع الأحادية التي يعتمدها التعبير « ... » .

ويقرر الشيخ العلايلي — أيضا — أن (المعتل) هو ثنائي لفظا ، وإن كان ثلاثيا خطأ في العريضة : أي أن المعتل هو ثنائي الحق بـ (ثلاثي) ، وأنه أقدم ما حفظت اللغة من كلمات العهود السابقة (١) .

ويلاحظ أن الشيخ العلايلي — كما ذكر الدكتور عبد الصبور شاهين في دراسته الواعية — لا يؤسس مصوره للثنائي على تصور « للأحادي » ، بمعنى أنه لم يسمع في الواقع وجود كلمة « أحادية » صارت إلى الثنائية على أسس افتراضية السابقة . ومن ثم نرى أفكاره تتكامل نظريا فقط ، دون أن يستلزم تأسيسها على تكامل لغوي « .

لكننا نلتزم العذر للشيخ ، ونبيح له التصور الذكي مروجاً بخيال غير جامع في فترة يعلوها الصباب ، ويلفها صمت التاربخ (٢) .

ويصور الأب أنستاس الكرملى « الثنائية » وطريقة اكتناز الكلمات وتدرجها بأنها : « تطورت في وضعها من عجا واحد (أي مقطع) أصلا ، إلى مضاعف من ثلاثي ورباعي : فيكون ثلاثيا إذا لم تتخيل الحركة في الشيء ، ورباعيا إذا تخيلتها فيه . وعلى هذا النحو تطور الهجاء الواحد (مر) بسكون الراء إلى (سر) بتشديدها ، وإلى (مرمر) ، ثم تطور في اتجاه آخر (صار) ، أو (صرى) ، وبذلك عرف المصنف والأجوف والنقص ثم المهموز (٣) .

ومعنى ذلك أن الثنائية كانت فترة وكثيرة في وقت ما من عهود اللغة إذا لم تكن هي الأصل ، ثم تحول عدد كبير منها إلى الثلاثي بالاصافة أو التضعيف ، وليس هذا خاصا بلعنا العربية ، وإنما هو قدر مشترك بين الساهبات .

وإشار (الأقدمون — كما قلنا — إلى مبدأ « الثنائية » ، ولكن لم يصحوا عليها مراعاة ، وبدأ بها أصحاب المعاجم مواد قواميسهم منسبة ترتيبها : مبدأ الخليل بن أحمد (١٧٥ هـ) بالثنائي في معجم (العين) ،

(١) المقدمه ص ٢٠ .

(٢) في التطور اللغوي ص ١٢٧ .

(٣) نشوء اللغة العربية ص ٢٠ .

واحتذاء ابن دريد (٢٢٥ هـ) في معجم (الجهرة) ، والأزهري (٢٨٢ هـ) في معجم التهذيب ، والقالي (٢٨٨ هـ) في معجم (البلرغ) ، وابن سيده (٣١٧ هـ) في معجم (المحكم) (١) .

وحددوا الثنائي بأنه ما تكون من حرفين ولو مع تكرار أحدهما ، وسماوا الثنائي المضاعف : الثنائي في الخط ، والثلاثي في الحقيقة : الثلاثي الصحيح . والثلاثي المعتل : الحواشي والأوشط (٢) .

ويكاد الأب مروجي أن يلزمنا القول بالثنائية ، كما لزم نفسه بها : فالرباعيات عنده « ليست مجردة كما يقول للصرفيون : بل هي ثلاثيات مزیدة ، والثلاثيات الثنائية : (المثال والأجوف والنقص والمهوز والمضاعف ومكرره) قائمة جميعها الرد إلى (الرس الثنائي) مع استمرار المناسبة المعنوية بينهما . أما ما يتعذر رده من الثلاثي إلى الثنائي فيعزى ذلك إلى فقدان محاولتها الأولية مثلاً ضاعت ، أو لم ترد الأصول الثلاثية لبعض المزيديات أو المشتقات ، التي بلغ عددها الثمانمائة أو أكثر » (٣) فالرسائل العربية عنده توفر من غير العربية ، والثلاثي وما عوقه توسعات اشتقاقية للرسائل الثنائية التي بدأت بها نشأة اللغة ، ومنها صدرت جميع التوسعات والاشتقاقية . حتى صارت العربية عنده بها « أوفر ثروة من لغات العالم أجمع » (٤) .



● ويؤنس المقام أن نذكر بعض أمثلة فخرها المؤملون للثنائية تزيد الأمر أيضاً ، وطرق اكتشاف الثنائية لترتقى إلى أعلى منها :

يقول جورجى زيدان : أن الجذور الثلاثية ترد أصلاً إلى جذور ثنائية ، هي حوامل المعاني ، وليست الثلاثية سوى وسيلة لتتويع المادة اللغوية ، وتطوير الاستعمال الدلالي .

(١) راجع المعاجم اللغوية د . إبراهيم نجا .

(٢) المصدر السابق .

(٣) هل العربية منطقية ، للأب مروجي ص ١٤٥ .

(٤) معجمات عربية سلمية ص ٧٩ .

فالأصل اللغوي « قط » حكاية لصوت القطع ، وهو ثنائي قاتبي
توسعانه بمضانه ، مثل : (قط ، قطع ، تطب ، قطف ، قطل ، قطم) وكلها
أفعال بمعنى (القطع) من (قط) ..

وأيضا متلرب الملة (قط) وهو « قص » يفيد تثليثه التلطح ، مثل
(تصب ، قصر ، تصبف ، فصل ، قم) وأيضا مجئس (قص)
وهو « كس » بمعنى القطع يأتي منه (كس ، كسر ، كسع ، كسم) .
ومثله : « جذ » بمعنى القطع ، يأتي منه « جذ ، جذب ، جذر ، جذف ،
جدم) وأيضا : « جز » يأتي منه بمعنى القطع : (جز ، جرا ، جرر ،
جزج ، جزع ، جزل ، جزم) (١) . وكل ذلك من باب القطع ، وهي ترد إلى
أصل واحد ، هو حكاية صوت .

وذكر الدكتور عبد الصبور شاهين أن هذه الأمثلة كلها نقلها جورجى
زيدان من كتاب المفتاح للمسكاكى (٢) . أى أن كتاب المفتاح أشار إلى
الأصول الثنائية المشتركة في المعنى العلم ، وما ينوع المعنى من زيادة عليه .
والآب مرجى يرى : أن كلمة (ح ج) أصلها ثنائي ، لاسم صوت
ينطلقه المجهدون تخفيفا من عنائهم (٣) و « ثب » أصلها « ثب » بمعنى الحركة
عموما (٤) ومنده أن : « نهى ، نهته ، نهر » بمعنى الزجر (٥) . أصلها
(نه) بمعنى الزجر .

ولمعرفة الآب مرجى بكثير من اللغات السامية أمكنته المقارنة اللغوية
بين الساميات بإلقاء الضوء على كثير من الأصول الثنائية التى بنى عليها
نظريته في « الثنائية » .

ولا ينكر أحد أهمية هذه الدراسات المقارنة ، إذ أنها تكشف كثيرا من
الغامض وما خفى على الكثيرين . ولذا نظر لكثير من الأعمال التى يقال

-
- (١) الفلسفة اللغوية ص ٩٨ .
 - (٢) في السطور اللغوى ص ٨٦ .
 - (٣) المعجمية العربية ص ٤٨ .
 - (٤) معجميات عربية سامية ص ٩٩ .
 - (٥) المعجمية العربية ص ١٣٠ .

جانها ثلاثية في العربية ينظرها في السريانية مما جاء على الثلاثية فقط ، نذكر
أن في العربية (حم) بالتشديد ، يقلبه في السريانية بالتخفيف . و (مص)
مص (بالتشديد يقابلها (مص ، مص) بالسكون . ويردف بأن « الثقلان وأردا
في كل الساميات عتصفا بمعنى حقيقى وتام » (١) .

ولرجع المضاعف الرباعى مثل : (مرمر ، قرقر ، دبذب ، لعلع ،
لا . .) الى ثنائين مكررين . . ومن هذا شيء واقف في العربية وكذا اللغات
السامية . . ففى السريانية (bal-bal) (zal-zal) على وزن زلزل ، ولبلل ،
وقد أمكنه جمع ٢٥٠ مادة منها في العربية الفصحى وهما ، ويوجد أكثر
منها في اللهجات (٢) .

وأكثر من ذلك : أن رسالة الألفاظ السريانية تفترض وجود الثلاثية
دون شعور وتصد منها (٣) .

طريقة اكتناز الألفاظ :

ومن علمائنا القدامى من أشار الى طريقة اكتناز المواد الثلاثية لتصبح
ثلاثية ، بزيادة حرف ، كابين فارس واس جى ، فى مثل : (نب) فيصبح
(نسا ، نبج ، نبج ، نبذ ، نمر ، نبس ، نشش) مع بقاء المعنى العام .
وعند الأب انستاس الكرملى : أن الهاء الواحد (المقطع) ذا المعنى ، قد
يزيد عليه هاء أو أكثر ، مثل (رم) بالسكون فيصبح (ثرم ، جرم ، هرم ،
خرم ، شرم ، صرم ، هرم ، غرم) . . ومثل : (نبا) ومنها (نبا ، نببت ،
نبث ، نبيج ، نبح ، نبذ ، نمر ، نمر ، نبس ، نبش ، نبض ، نبح ، نبع ، (٤) .
وهي نفس طريقة القدامى كما أشرنا .

ويطبق الأب الكرملى النظرية على اللغة اللاتينية ، لأن الكلم عنده مبنى
على محاكاة الطبيعة وعلى الهجاء الواحد غالباً ، فيقول :

-
- (١) محميات عربية سامية ص ٦٨ .
 - (٢) المصدر السابق ص ٩٧ .
 - (٣) المصدر السابق ص ١٠٠ .
 - (٤) مشوه اللغة العربية ص ٢ .

« قد يتفق مصطلح العرب ومصطلح أبناء الغرب إذا اتفق المخاطران في توهم صوت الطبيعة ولا يكون هذا الأمر إلا إذا كان ثم هجاء واحد ، أو هجاءان اتفقا لا أكثر . فمثال الهجاء الواحد قول العرب (رد) بالتشديد ولا حرم أن أصله (رد) بفتح وسكون ، وهو في اللاتينية Raddere ومن المعلوم أن Ere كلسعة (ما يزداد في الآخر) تكسح بها كثير من أعمالهم ، إذن Raddere ليست إلا (رد) العربية (١) .

والشيخ العليلي يرى أن اتساع الدور الثاني لمستخدم معاني الجدول الهجائي المسمى ، وضم بعض المقاطع الأحادية ليعبر عما في نفسه من معان ، ويمثل بلفظه (عى) وهو ثنائي في صورة ثلاثي ، أو ثنائي الحق بالثلاثيات * فإن العين تدل على الحيوان الرئيرى . والباء تدل على البيت ، وكان المعنى : حيوان البيت القوى ، الذي هو كناية عن الرجل . وقد وردت في العربية كلمات مثل (دد) بمعنى اللهو ، و (ببة) للطفل السمين أو لعية ، ويردهما الشيخ العليلي إلى (ددا) المعتلة ، وإلى (البو) بمعنى ولد الناقة أو جلد يحشى أى قوئ لتتسلى به الناقة على ولدها (٢) .

واحتتملت التواميس العربية بشائيات قديمة ، كإسماء الأسرة : (أب ، أم ، أخ ، أخت أم ، ابن ، بنت ، حم) . وإسماء الأعضاء : (يد ، دم ، شفة ، لثة) .

وعلى مر العصور ، وترقى الإنسان ضاقت الشائيات من التعبير عن المعانى ، فكان لابد من التوسع في صور لفظية جديدة ، لطلبية الحاجات الآتية والمستقبلية ، فكان لابد من الاكتناز والتوسع في الألفاظ الشائية ، لتعدل على معنى إضافية .

« مرع العرب بزيادة حرف على الثنائى ، أو صوت ثالث . أدى إلى صورة لفظية جديدة (٣) .

فلجأت العربية إلى طرق أصت إلى اكتناز الألفاظ بالمذ ، والتشديد ، وقد

(١) المصدر السابق .

(٢) مقدمة ص ١٣٣ .

(٣) الألسنية العربية لريون طحان ص ٨٤ .

تداخل بينهما . أيضا لجأت الى تحويل المضاعف نقصا او يحول المضاعف
اجونا ، او يتخلى الناقص عن حرفه الآخر لصالح حرف صحيح ، والأمثلة
على الترتيب (مص ، مصر ، شد ، شد) (رب ، ريا) (طم ، طما) .
(مد ، ماد ، ضر ، ضر) (رما ، رصب) . (سما ، سبق) .
(محا ، محق) . (رخا ، رخص) .

— ويوجز الأب مرجى طرق توسع الثنائيات ، أمينا :

(أ) بـ تكرار الحرف الثاني ، مثل : لم — ام ، جل — حال .

(ب) وأما بالتكرار والمد معا ، مثل : ار — آزار ، اط — اطيط ، بر —
برور .

(ج) وأما بزيادة تاء في الآخر ، مثل مك — مسكة ، تل — تلة ، جب —
جبة .

(د) وأما بالتكرار والمد والتاء معا ، مثل : ضر — ضرورة ، كز —
كروزة كرازة .

وكل هذه التوسعات المختلفة التوسيع متضمنة منطوق « أوسر
الثاني » (١) المشتقة منه ، وقد احصى منها الأب مرجى ٢٢٧ مادة .

وهذه التوسعات في الكلمة تنفذ مواقع مختلفة :

(أ) لنفسى الريادة تنويجا أو تصديرا (Prefix) (إذا وقعت في

أول الكلمة مثل (جرم ، حرم ، خرم ، شرم ، صرم ، عرم ، عرم) . . تشترك
في (الراء والميم) وفي المعنى العلم لها .

(ب) وإذا وقعت آخر سميت : تقيلا ، أو كاسما Suffixe وهذا
هو العالب ، مثل : (قطب ، قطع ، قطف ، قطل ، قطم) . . تشترك
في (القاف والطاء) وفي المعنى العلم وهو الفصل .

(ج) وإذا وقعت وسطا ، سميت : اقعلما ، أو حشوا in Fixe (٢) .
مثل (قحم ، قرم ، قسم ، قصم ، قضم ، قطم ، قلم) (تشترك في حرفي
(القاف والميم) والمعنى العلم في التقى والقطع .

(١) معجمات عربية ساهية ص ٧٨ .

(٢) تشو اللغة ، والمعجمية العربية ص ١٣٥ .

ويزيد الأب مرمجي بأن المقرر عند علماء العربية قديما وحديثا ، وعند
الأجانب من مستعربين — علماء السامية — ومستعربين لن الريادة تحري
بالتنويج والاحتكام والتفصيل . وفي كل حال من الأحوال يتم الأمر على سبيل
الاعلمة ، أي بالسماع ، وليس بقياس محكم » (١) .

ولا يقع من أن يكون العرب قد اعتمدوا وبعثوا تسكين الحروف
الثاني في (الثنائية) ، ثم شددوه ، ثم فكوا تشديده ، واستبدلوا ثاني المشدد
بحرف يختلف عنه ، مروراً من التثني إلى الثلاثي وغيره ، مثل (النون وأهمل)
بمعنى الخروج ، مع تخصيص حاصل بفعل تخصيصها ، فقالوا : (نف ، نف) ،
فدث ، مدح ، نمخ ، نقد ، نفد ، نفر ، نفس ، نفق ، نفق ، نفل ، نفى) .
وما قرره المتقدمون من الزيادة بالحروف على الرباعيات والثلاثيات ،
يسوغ — عند الأب مرمجي بكل حق وصواب تطبيقه في الثنائيات . ومثل لما
زاد على الثنائي بالأمثلة الآتية : (يقطع ، من قطع أي أغنى ، وترغل
من رغل ، وزنبيل من زبيل ، وعنصل من فصل ، وذمط من ذعط . .
ويلسن من بلس ، وعبدل من عبد . . وعد من ذلك شبيهاً كثيراً في العربية
وبقية الساميات) (٢) .

فالزيادة والترقي من الأقل إلى الأكثر ، كانت طريقاً مألوماً ومعروفاً
للعرب في توسيع المواد وزيادة وتنويعها ، لتقليل المعنى الجديد . كما
كانت هناك رسالات متنوعة تجري ضرب من الاعتباط ، أي لدواع غير
داعية الدلالة على معنى حاصل ، أو على دور معين ، كما ذكر الأب مرمجي .
وضرب مثلاً لذلك :

بالزيادة لللاحق . لحض الموافقة بين وزن وآخر ، ليميل معاملة ،
مثل : (تعدد ، وجلب ، وشمل) في التنجيل . و (حنظل وجوقل ودهور)
لزيادة النون والواو والهاء حشواً .

وزيادة للمعنى ، مثل : قنبرة من قنرة . وانجاص من اجلاس ، وخريز
من خريز . وريادة لتقوية الحركة ، دون قصد معنى معين ، مثل : (برع من برا ،

(١) معجميات ص ١٠٥ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

وينسب إليه (برني أي براني) و (توقع من توقي) ، (شفع من شيفي)
و (بدأ ويدع من بدا) .

وزيادة لعذوبة اللفظ وسهيله مثل (يا أبتى ، وعصاتي ، ودد ، بدل من
يا أبتى وعصاتي ودد) . و (فدتى وقطنى) بلتحلم النون . و (لطت ، ثبت ،
ربت) ملحقى القاء .

وزيادة لأقلية الوزن فى الشعر ، نحو (تبيضضى) عوض قبصى .
وريدات أخرى مجرى دون قصد اشتقاقى ، مثل : (حوارنة ، جمع
خورى) و (أبهات وأبهلت) بلتحلم الهاء . وكذلك النسبة إلى (صماتى ،
وجوائى ، وبراتى ، وصيدلاتى) بلتحلم النون .

و يخلص من ذلك الأب مرمجى إلى أن اللغة تتبع السنة الطبيعية ،
ونحضع لأحوال الأنسار المخلطة ، ولأعضاء نطقه ، وللنظورات الاجتماعية
والمؤثرات . كما أنها فى بعض أجزائها قبلسية منتظمة محكمة ، وفى البعض
الآخر سماعية : لا صابط ولا قيد لها ، وقواعدها ليست قواعد حسابية
رياضية (١) .

وكثيرا ما سمعت الشبح الملايلى يطلق على قواعد العربية ضوابط
لا قواعد ، ناهيدا لذلك .

ولتوفر الأب مرمجى على دراسة الثنائية ، وطول نظره فيها ، وتنصبة
لها ومزاولتها ، لكنه بعد التقصى والاحتمار أن يصنف الحروف التى تقبل
الزيادة على الأساس الثنائية من باب الاعلية والاطلاق ، كما يلى :

(أ) حروف تصلح أن تكون متوجة ، ومتحمة ، ومبدلة وهى : (أ ، ت ،
ر ، ع ، ل ، م ، ن ، ه ، و ، ي) .

(ب) حرفان يصلحان للتوبيج والتفخيل ، وهما الماء ، والشين .

(ح) حروف تستخدم للتفخيل ، وهى (س ، ب ، ذ ، ك ، ق) (٢) .

ثم أمضى فى شرح ذلك وتنصيله فى مصنعاته اللغوية الكثيرة ، غليدا لدعواه

(١) المصدر السابق ص ١٠٧ ، ١٠٨ بتصرف .

(٢) فقه اللغة العربية د . ابراهيم نجبا ، ص ٨٣ .

لبنك دعائم الثلاثية التي نصب نفسه محلها لها ، ومدافعا عنها طوال حياته .

ومن استعراض الأمثلة السابقة يمكن القول بأن الانحياز في العربية جاءت من أصليين أساسيين ، خصهما بمعنى واضح حرف ثالث ، أي أنها عرمت عبر تاريخها الحقل مفاهيم تعود إلى أصول غير ثلاثية ، وإن ارتكزت بعد تطور أدوار - على أسس ثلاثية .

والحرف الثالث الذي حدد المراد من المعنى العلم ، تنوع حسب ما يتطلبه المقام .
« فلي لراد العرب ابنة شيء عن شيء وفصله عنه مع معناه ومشقة قالوا : (قطع) وإن أحبوا أخذ شيء من آخر دون معناه أو مشقة قالوا .
قطف ، لقوة الميم وضعف الفاء » (١) اللهم إلا إذا عن غرض بلاغي فيتجاوز عن ذلك ، كتقول الحجاج بن يوسف : (أنى لأرى رؤوسا قد أينعت وحان قطافها) ، فلشدة وهو أن أصعب الرؤوس ، جاء التشبيه بالزرع والقطاف .
وبعزز ابن جريد في (جهرته) وجهة نظر الفريق القائل بأن الكلمات المشتركة في حرفين وفي معنى عام بضمها كانت في الأصل ثنائية المقطع نظرا إلى الصورة الملتصقة بها ، دون التعمد إلى الحرف المكرر بمثابة حرفين ، وإن كان في الحقيقة ثلاثيا . يقول ابن جريد : « والثاني الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني ثقل (أي مصعب) حتى يصير على ثلاثة أحرف . . . اللفظ ثنائي والمعنى ثلاثي . وإنما سمي ثنائيا للفظه وصورته ، فإذا صارت إلى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثاني حرفين مثليين أحدهما مدمم في الآخر ، نحو (بت بيت بنا) بمعنى قطع ، وكان أصله بتت فأنشأوا التاء في التاء ، فقالوا : « بت » وأصل وزن الكلمة عمل ، وهو ثلاثة أحرف ، فلما مازجوا الإدغام رجعت إلى حرفين في اللفظ ، فقالوا : بت ، فدممت إحدى الثنتين في الحروف المعجمة (٢) .

« فالسطرة إلى اعتبار المصنف الثلاثي ثنائي الصورة تبدو بجلاء ووضوح عند المتقدمين في جبهة اللغة لابن جريد ، وفي المقالييس لابن فارس ، بل أن

(١) المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٢) الجهرة ١ / ١٣ .

في جمهوره اللغة لابن حريد ما يدل دلالة أكيدة على توثق النظرة عنده :
فانه عند الكلام على الثنائي يتجه القول على جميع مولده صحيحا او معلا ،
قبل أن ينتقل الى الثلاثي « (١) » .

والحدثون تبعوا هذه النظرية ونظروا لها بما هو وارد في الساميات
من ثنائيات مثل (حم ، مص ، مس) بالشد في العربية بما يقبلها في
السريانة (حم ، مص ، مش) بدون تشديد للحرف الأخير (٢) .

الا أن الشيخ العلالي جعل الحرف المزيد على الثلاثي حلقة ثالثة
في الدور الثالث من ادوار الانسلن في تدرجه نحو الرشد ، تعرف الكتابة
وعرف الحروف وتنوعت حاجاته ، فجعل الحرف الثالث حشوا في وسط
الثنائيات — علما لينطى مفاهيم جديدة ، فجعل من (قف) : (قلف ،
غرف ، قدف) (٣) .

ولوفرة الشواهد والأمثلة في هذا الصدد ، « أطلق بعض الباحثين
المعاصرين القول (٤) بأن الذي يتفرس كلم العربية بانعام نظر ، يجد أن
معظم موادها أصلا يرجع اليه كثير من كلماته وان لم نقل كلها ، وذكر لذلك
(فل) ثنائيا تدور حول الشق والفتح : كفتح ، فتح ، فطح ، فطح ، فلى .
وكذلك نجد ابن فارس في كتابه (المقاميس) يذكر أن مادة (قط) تدور حول
القطع .



(١) لغة الامة العربية د . نجا ، ص ٨٥ .

(٢) معجمات ص ٩٨ .

(٣) المقدمة ص ١٤٤ .

(٤) لغة الامة العربية د . نجا ، ص ٨٥ .

ثنائية وشنائون

وهب مؤيدو « الثنائية » يدعمون اسمها ، ويرسون مبادئها ، ويسوقون شواهدا :

● فذهب بعضهم الى : « ان الطبيعة عينها ميالة الى الثنائية ، لا الى الاحادية ، لان اعضاء النطق عيتها لا تخرج للمتكلم حروفا صامتة ممتزجة ، بل مقاطع مركبة من الصائتات تحركها الصائتات » (١) .

● ويرى بعضهم ان القول بأن اللغة الانسانية نشأت بطريق المحاكاة وهذا رأى من آراء كثيرة قبلت في نشأة اللغة — يرسى مبدأ هاما من مبادئ « الثنائية » اذ ان هذا الرأى كشف عن عدد كثير من الاصوات العربية في مجموعات . ولوحظ ان جل الالفاظ التى نشأت عن طريق المحاكاة هو وضع ثنائى . ولذا قل كثير من الباحثين : ان اصل حكاية الاصوات فى اللغات السامية — ومنها العربية — هو ثنائى يعتمد على حرفين صائتين ، حتى هاكى الانسان اصوات الطبيعة وغيرها من حوله بصيحاته وصرخاته الانسانية ، وعبر بعد ما قلد عن حاجياته الطبيعية والحياتية .

ويرى الآب مرمجى ان المرعان الحسى الجلى على وجود الثنائية هو : « فى اصل اللغة » ، يستخرج من العناصر الاولى للغة العربية ، وهى اسماء الاصوات ودماء الحيوانات ، لو زجرها ، وبعض اسماء الاعمال ، لمى ثنائية ، ومنها كان بدء صوغ النمل المضاعف ومكرره . دونك الالفاظ التالية — على سبيل المثال لان منها فى اللغة شيء كثر — : « اى » كلمة تكره ونسجر ، و « آه » كلمة توجع و « به » و « مخ » كلمتان تقالان عند استعظام الشيء و « عس » كلمة زجر للهر (٢) .

وليس هذا خلاصا بالساميات ، بل لاحظ العلماء — ايضا — ان لفظ « مو » فى المصرية القديمة والصينية يعنى (هرة) ، وجاء التوافق من ان الهرة سميت بالصوت الذى تحدثه ،

(١) معجمات عربية سلبية ص ٩٨ .

(٢) معجمات عربية سلبية ص ٩٦ .

(ويسواء اكتبت المحلكاه لصوت إنسان : كالتهمته ، والنجحة ،
والنأوه ، والتنف) .

(أم كتبت محلكاه لصوت حيوان : كالزقزقة ، والمواء ، والصهيل ،
والزئير) .

(أم كتبت محلكاه لصوت الطبيعة ويطلق عليها المحضون نظرية (بو -
وو) (Row-wow) ، وذلك كحقيق الشجر ، وخرير الماء وصرير القلم
وهزيم الرعد) .

وليس (ماكس مولر Max Mueller) هو صاحب نظرية « المحاكاة » حين
اشار اليها في محاضراته بلندن سنة ١٨٦٤ واعطاها اسما جديدا تعرف به هو
(Ding-Dong) كما اشار بعض المعاصرين (١) . بل ان علماء اللسانيات
عرفوها ، واثار اليها ابن جنى (٢٩٢ هـ) وحكاها عن سبته ، ووصفها
بالصلاحية والقبول ، حين قال : « ... وذهب بعضهم الى ان اصل اللغات
كلها انما هو من الاصوات المسموعة ، كدوى الريح ، وحنين الرعد ،
وخرير الماء ، وشحيج الصار ، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، وتزيب
الطبي ، ونحو ذلك ... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي
وجه صالح ، ومذهب مقبول » (٢) .

فابن جنى يحكى عن سبق ، وفي حكايته هذه دلالة قاطعة على انه
كل مذهباً مقرباً وثائقاً بين السليقين من ملاننا .

وارتضى الشدياق هذا الراى ، وذكر له امثلة كثيرة تمزج راية ، في
كتابه القيم (٣) .

وايد ذلك المستشرق الفرنسى (رينان) : في كتابه : (التاريخ العام
للغات السامية) ، وذكر له امثلة كثيرة توضح التشابه بين الاصوات اللغوية
في مجموعات اللغات الآرية والسلمية (٤) .

(١) نظريات في اللغة لانييس فريجة ص ١٩ .

(٢) الخصائص ٤٦/١ .

(٣) سر الليل في القلب والابدال ص ٢٢ - ٢٧ .

(٤) مجلة كلية الآداب اللبية ع ٤ لسنة ١٩١٢ هـ .

والقول في نشأة اللغة من أقدم المشاكل التي جلبت عقل الإنس ،
لأنه أمر يثير الخيال .

والحق الذي يقال بصحة أن كل النظريات في القول بتنشأ اللغة
الإنسانية الأولى ليست يقينية ، ولا يسلم بها العلم ، لأنها حتم و خيال ،
ومحى ندرسها على أنها افتراضات قيد البرهان ، وأن تحسرت كل نظرية قدرا
من الالام نفسيى قدر لا تقبلولة هذه الفطريات ، والسر :

أن اللغة لم تبدأ — كما ذكرنا — منطقية ، إذ لم يكن هناك منطق ولا
مكر ، كما أن قضيتها ليست لغوية بحتة ، ولا تدخل في نطاق علم اللغة
(Languis Tic) وحده ، بل تنشعب في نطاق (البسيولوجيا)
(والأنثروبولوجيا) ، والفلسفة .

فنظرية المحاكاة وأن تعلق بها الثنائيون وفسرت جانباً ، فهي تعطيه
شبيهاً وسبباً يؤيد وجهة نظرهم ، وعليهم سوق أدلة أخرى .

« ولكن يسجل لهم أن معظم الأصوات الثنائية كانت محاكاة لأصوات
الحيوان أو الطبيعة ، أو الأصوات التي تسمع عند مزاوله الإنسان للأعمال
التي تدل عليها الأصوات » (١) .

والنظرية تقصر ما يدل على المحسوس ويخرج عن دائرتها ما يدل
على المعقول .

● وتعلق بعض مؤيدى « الثنائية » إلى أن (نشأة اللغة إنما هي ثنائية
المواد) أى أن قانون التطور يرشد إلى أن اللغة نشأت أول أمرها ثنائية المواد ،
بتركيب كل منها من مقطع واحد مطلق (أى من حرفين أولهما متحرك وثانيهما
ساكن) ، وحين دعت الحاجة إلى التنوع والمزيد اكتشزت هذه المواد إلى
الثلاثية وما عوتها بالطرق السالفة وأن المعنى العلم كالم في الأصل الثنائى ،
وما زاد عليه لم يزد المعنى الا تنوعا حسب الحاجة والمقتضى .

وحملت المقاييس اللغوية لابن فارس بالأمثلة الوعيرة التي تؤيد ذلك ،
وحذا حذوه الشدياق في كتابه : « سر الليل في القلب والاندال » ، والفكتور
أمين فآخر بحث قيم لدراسة معجمية احصائية ، في ثنائية الالفاظ في المعاصم

(١) المصدر السابق نفسه .

العربية ، وعلاقتها بالأصول الثلاثية هو بمثابة التطبيق للنظرية التي نحن بصددتها (١) .

ويدكر الدكتور محمد مصطفى رضوان — في مقاله للقيم عن الثنائية في اللصة (٢) طرعا من أقوال المستشرقين الذين يؤيدون « الثنائية » ، ويستشهدون لها بما في أخوات السامية ، يقول :

لقد طبق المستشرق الألماني (فوربت) النظرية الثنائية مطبقا عملي في معجمه الكبير الانجليزي العبري . مؤيدا نشاء اللغة ثنائية المواد ، من متطوع واحد مطلق أي من حرفين : أولهما متحرك حركته قصيرة ، وثانيهما مسكن .

ويقول المستشرق الألماني (جرينس) في كتاب له عن اللغات السامية ، وقد شرح فيه الثنائية شرحا وافيا مؤيدا بالأمثلة : « ان ثنائية الأصول اللغوية في الفعل والاسم تلتزم بدقة واطراد في اللغات السامية ... إلى ان يقول : غير ان كثيرا من الأصول الثلاثية يمكن ردها إلى أصول ثنائية ، نسميها : جنورا ، تفرعت منها جنوع ثنائية وفوق الثلاثية .

والمستشرق الفرنسي (رينان) ، في كتابه — التاريخ العام للغات — يريد الأمر وضوحا في هذا الصدد ، يقول : ان من بين الأصول الثلاثية أنواعا من الأعمال ، تعد ثنائية ولا تعد ثلاثية إلا لاعتبارات صرفية ، تلك هي الأعمال المضعفة والمعتلة التي لا يكون فيها لتكرار الحرف الثاني ، أو لاضافة حرف العلة تأثير يذكر في تغيير المعنى الاسمي الذي يفيدده الأصل الثاني ، وذلك نحو « ند » لانه أصل ثنائي يفيد معنى الحركة أو الإبتعاد ، سواء ضعف ثانيه ، فقبل : (ند) أو مد لوله فقبل : (نداد) أي تحرك أو تمايل من النعاس ، ومنه (نندد) الضمن ، أي تحرك . لو مد ثانيه فقبل : (نندا) يقال : ندا الشيء ، بمعنى تفرق ، والابل النوادي ، هي الشوارد .

وان الأعمال الثلاثية المركبة من حروف صحيحة نجد — في جميع

(١) انظر ثنائية اللفاظ في المعجم العربية . طبعة أولى .

(٢) مجلة كلية الآداب الليبية ع ٤ لسنة ١٣٩٢ هـ .

الحالات تقريبا - أن أحد أحرفها الثلاثة لضعف من الآخرين ، وأنه لا يحدث في المعنى الأساسي إلا تعديلا طفيفا (١) .

ومن ثم يبدو أن الأصل المسمى الثلاثي يمكن رجعه في الغالب إلى حرمين لسليبيين لضعف اليمين ثالث ليس له في تغيير المعنى الأساسي إلا تأثير طفيف ، وإن الأصول الثنائية السلية هي العنصر البدائية التي لا تقبل النقص . والقيمة التي تضيفها دراسة المستشرقين هي الملهم بلغات شتتات للعربية ، وغيرها ، تبعد مدى الرؤية ، وتطلى من قيمة الشاهد ، وتقسم النظرية والتطبيق .

والأب مرمحي يرى هذا الرأي ، وكثيرا ما ذكره في مصناته ، ولخص في أحدها بعض مبادئ الثنائية ورأى أن من نتائج هذه النظرية : أن المذال والأجوف والنقص « ما هي سوى مزيادات أو توسعات في الرسم الذاتي الذي يجري فيه أول التوسع بتكرار الحرف الثاني منه ، لو بتشديده : أي بتكراره لفظا ووصع الشدة عليه كتابة ، وعادة يجري التشديد في اللغات السامية : أما لغوية اللط لو تسهيله ، وأما للبالغة ، وأما للتأكيد والتأيد » .

وعلى ذلك فالمعمل (قام) مثلا ، أصله (قم) لتبعت حركة هربه الأول ، مما يظهر في السريانية في كلمة (lam) ولو قمت تصريف الفعل قام ، واتصله بالضمائر ، لوجدت أن الأصل ثنائي وأنه يدل على معنى قام في حالة الثنائية (٢) .

ويؤكد الأب مرمحي أن من الأدلة على وجود الثنائي في أصل اللغات ولا سيما السامية منها : « هو أن المضاعف العربي الذي يقل : أبه مركبه من ثلاثة أحرف أصلية - لا تجد مقابله في السريانية إلا بحرعين اثنين لا أكثر ، مثلا مقابل « هم » بالتشديد في العربية نرى في السريانية (حم) بالسكون ، ومثلا (محي ومح) (٣) .

(١) مجلة كلية الآداب اللبية ع ٤ لسنة ١٣٦٢ هـ .

(٢) مجليات من ٩٦ - ٩٨ يتصرف .

(٣) مجلة كلية الآداب اللبية ع ٤ لسنة ١٣٦٢ هـ .

● ويرى بعض العلماء أن الثنائية الطبيعية التكوين ، بمعنى أن « طبعة
الحرمين اللذين تتكون منها المادة الثنائية لها دخل كبير في بثاتها على
صورها الثنائية ، إذ أن هذين الحرتين في الغالب شديداً لو رخوان أو
متوسطان بين الرخاوة والشدّة .

ويرى كثير من علماء الفرنجة : أن المواد الأصلية المكونة من حروف
شديدة هي على وجه العموم اقتم من المكونة من حروف رخوة أو متوسطة
ويرجع أن الأخيرة نقلت من الأولى بتخفيف الحروف الشديدة (١) .

ويؤيد ذلك ما ذكره (الشهاب الخفاجي) من أمثلة الكلمات التي
تجتمع فيها حروف معيبة ، مثل (جردقة ، وجلتيق) لصوت باب وكذلك :
(صنجة وصولجان) . وإيضاً : (نورج ونرجس) . وإيضاً : (مهنز
وهندازة) . (وبست) اسم لبلدة (ومذاب وسلاج) ، (وطاجن ،
واطنة) ... لأن الجيم والظاء ، والصاد والجيم ، والنون بعدها راء ،
والراء بعدها دال ، والباء والسين والتاء ، والسين والزاي ، والطاء
والجيم والصاد والطاء لايجتمع شيء من هذه الحروف إلا ودل على أن
ويعلق الفكتور محمد مصطفى رموان على هذا بقوله : « لكن يبدو أن
ترجيح أسبقية المواد المركبة من حروف شديدة على المركبة من حروف رخوة
أو متوسطة لا يستند إلى دليل تاريخي .

ولعل الدافع لهذا الترجيح أن سنة التطور تقوى بالانتقال من الصعب
إلى السهل كما أن العقيدة الغالبة لدى العلماء أن الأصوات القوية هي
التي نمت نظر الإنسان في أول الأمر ، فحاكاهما بحروف شديدة مثلها ، ثم
حاكى الأصوات الخفيفة التي هي ثقل من الأولى شأنها بحروف رخوة
أو متوسطة » (٢) .

وهو باستدراكه على ما بدأ به عد كفتا مؤنة الرد ، والتعقيب ،
ومحاضرة والذمة — كما أسلفنا — لم تنشأ منطقية ولا عقلية ، وتوحى سنة
التطور والرقى بهذا التخرج .

(١) شفاء العليل ص ٦ ، ٧

(٢) مجلة كلية الآداب .

وقف مع الحرف الثالث :

● وقف العلماء المؤيدون للثنائية طويلا عند طبيعة الحرف الذي بثث المادة للثنائية .

وخلاصة رأيهم فيه : أن المعنى العلم للمادة الثنائية كلين وبقى منها «ما موسعا في المادة بالزيادة ، وكلما رددنا موادها المرید الى الصورة الثنائية ، وجدنا الحرف الذي ثلث أصلها ما يبرح ذا قيمة تعبيرية ذاتية ، بوحه المعنى الأصلي العلم توجيها خاصا ، وتزيده تنوعا وتقييدا فقط .

وبعض علمائنا القدامى حذق الثنائية على هذا النمط ، كالراغب الأصبهاني (٥٥٠٢) كما في مؤلفه : « المفردات في غريب القرآن » إذ اعتبر المضاعف هجاء واحدا ، ولم يبال تكرار حرفه الأخير ، لأنه عنده من وضع الخيال ، لا من وضع العلم والتحقيق .

ورد ابن فارس ، في « معجم اللغة » باب (الجيم والذال وما يثلثهما) الى معنى الأصل ، كما في جذر ، وجذع ، وجذل ، وجثم . . . وإن تساوت الاستعمال نتيجة للحرف الثالث : فالأصل العلم للشجرة جذل ، وللخلة جذع ، وللحساب جذر . . .

وإلى الطب في شرح هذا المدأ هو العلامة أحمد فارس الشدياق (١٨٨٧ م) ، والمسيح شرق الألباني (جزيش) ، وأجاد الدكتور محمد مصطفى رضوان في مرض آرائهم مرضا يوضح أهم مبدأ من مبادئ وأسس الثنائية في نظره .

ولابد لنا في هذا المقام من تلخيص هذا المدأ ، كما ورد في (مجلة الآداب الليبية في عددها الرابع عام ١٩٩٢ هـ) زيادة في المائدة ، ولتوضح جوانب الحقيقة في هذه المشكلة التي طال لها ، وأظهرا لبراعة الحس اللغوي للشدياق ، وكشفا لعديد من مؤلفات لعوية حديثة عبرت الأسواق ، فسوق مكر الشدياق وغيره ، ومضاعتهم دون أن تذكرهم أو تعزو اليهم علمهم وفضلهم وسبقهم :

مقد رأى العلامة (جزيش) أن تنمية المادة الثنائية ، يتم بواحدة من خمس طرق أولها : تضعيف الحرف الثاني ، وتلك وسيلة أولى وطبيعية في

التنمية ، كما قل كثير من العرب والمشرقيين وواقفهم الشحيق ، وذكر مسة لسيلب (١) للتكليل على صحة ما ذهب إليه ، فوجزها فيما يلي :

١ — أن معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت أو صلفته ، وحكاية الصوت إنما تأتي من المضاعف مثل : دب ، دق ، قر .

٢ — أن الفعل في الأصل كالاسم : في كونه يوقف عليه بالسكون قبل اتصاله بفاعله ، فإذا اتصل بفاعله فتح : فحين وضع الواضع (دق) لم يتعمد بها في أول الأمر أن تكون فعلا ولا اسما ، بل مجرد حكاية لصوت توهبه ، بقطع النظر أي شيء آخر ، فلما وصل (دق) بفاعله قال : دق الرجل . فلما أراد تخصيصه بأن يكون اسما قال : دق الرجل . وكثيرا ما ترى صيغة الاسم والفعل واحدة لهذا .

٣ — أن اللغة — كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية — لا يحدث شيء منها تاليا كاملا من أول وهلة ، ولكن على التدرج . فلاحرى أن نقول : أن الفعل السالم جاء آخر الأعمال لما الأجوف فأنه غالبا ما يأتي عقب المضاعف ، مثل (طلب) وطلب ، وصر وصرار (أي صوت) . ولما الناس : فأنه صدى غيره من الأعمال ، وكأنه نوع من القطعة (الترخيم) لفظة لبعض العرب . نحو : هروهي ، والأسك والاسي (٢) .

٤ — أن حكم ترتيب المزيد المضاعف لا يكاد يتخلف : فقلما ترى للمضاعف معنى إلا ورأيت في مزيده مثله أو ما يقاربه . والمراد بالمزيد هنا يكون الحرف الثالث فيه أو لابه غير عينه . وذكر لذلك أمثلة كثيرة تبلغ مسة وخمسين ، منها : سل وسلب ، وكك وككح ، ومن ومنح . .

٥ — أن زيادة حرف على المضاعف اللقي بحكمة الواضع في التفتن من نفسه ، إذ لو جعلت السالم أصلا لزم عنه المعدول من الكمال إلى القصر ، والاختصار في الأعمال ليس من مذهب العرب كما قل على ذلك الأعمال المزيدة .

ودليل آخر : هو أنهم يشبهون الفتحة في آخر الفعل فيتولد معها ألف ، كما في : (حب وحبى ، وعلق وسلقى) .

(١) سر اللآل في القلب والامثال ص ٢٢ — ٢٨ .

(٢) المصفر السليق ص ٢٦ ، وراجع أيضا معجمت عربية سامية ص ٩٦ — ٩٨ .

وتس على ذلك زياده للهاء في هجزع للجبان ، والنون ، في ضيغ ،
والراء في يحتر ويعثر .

٦ - أننا نجد أفعالا مجهولة الأصل وأصلها من المضاعف معلوم ،
مثل : امتخر العظم ، أى استخرج منه فهو لا بد أن يكون من امتخ إذا لم
يحىء المخر بمعنى المخ . وتس على ذلك تمخى العظم ، بمعنى تمخه ،
ونحرج من ذلك بأن كل المضاعفات هى بالحقيقة ثنائيات ، والثنائى
وارد حتى فى السالبات ، متصفا بمعنى حقيقى وقام كما سبق أن ذكرنا للاب
مرمرحى .

ثانيها : اضافة حرف علة الى لول المادة لو وسطها أو آخرها :
ويطلق الشدياقى الاضافة فى الأجوف بقوله :

ان الأجوف غالبا من يلقى عقب المضاعف ، كطب وطاب ، وضر وضر
وجب وجاب ... وهو كثير فى العربية .

ويظهر أن السبب فى المحول عن المضاعف ، الى الأجوف ، هو الرغبة
فى التخلص من تشديد عين العمل بعد حركة فائه ، لأن التشديد ثقل ،
حتى لا يكاد يوجد فى اللغات الآرية .

وسبق أن علل الاضافة فى الناقص بأنه : صدى غيره من الأفعال ،
وكأنه نوع من القطعة (الترخيم) لمة لبعض العرب ، كما فى شجب
وشحا ومحق ومحا .

والتقارب شديد بين معنى المضاعف والناقص ، كما فى : قضى ،
وعسى الضر وعم .

والتقارب أيضا شديد بين المضاعف والمثل ، كما فى : وتمس (قطع)
وقص . ووخز وخز .

ثالثها : اضافة حرف من حروم الزلاقة (١) ، الى المادة الثنائية : مثل :
قص قسم ، قصر ، قصب ، قصف قصل ..

(١) حروم الزلاقة (أى الخفة) يجمعها قولك : (مر ينفل) .

رابعها : إضافة أحد حروف الحلق (١) إلى المادة الثنائية ، مثل :
غق (فرق وفتح) وفقاً وفتح ، وفتح . ورد وردع . وقط وقطع . ومن
ومنح .. فالضاعف والحلقى معانها واحد .

خامسها : إضافة حرف من أحرف الصنير (٢) إلى المادة الثنائية ، مثل
مر ، وفرز ، وفرس ، وقرص ، وكلها بمعنى حصل وفرق وقطع . ومثلها :
مل وملذ ...

تلك هي الطرق الخمسة التي تنثت المادة الثنائية ، كما لاحظها علماء
اللغة ، وكلها مساعدة بقاء لافرق بين المعنى العلم للمادة الثنائية ، وبين
المعنى بعد أنضيف إليها ما يثنتها .

ويمرض علينا الدكتور رضوان — في نهاية عرضه لآراء العلماء —
مادة ثنائية هكائية ، مبيها المواد الثلاثية المشتقة منها بالطرق المخطئة ،
وهي مادة (قع) ، مما يؤيد أن أصل الثنائية في لغتنا مكين وثابت ، يقول :
ويظهر أن مادة (قع) في الأصل حكاية لصوت الرعد المرمج ، ومنها
القعقة ، وتفتح أي اضطرب .

والمواد المتفرعة من هذه المادة تعيد معنى الخوف أو الانكماش أو
الاسترخاء بصورة ما ، لما يترتب على سماع هذا الصوت من خوف .
من ذلك (قنع) القنط : أدخل رأسه في جلده ، بإضافة حرف زلاقي
في الوسط ومثله (قنع قنوما) أي ضلل .

وبإبدال القاف كافاً ينشأ : (كع) الرجل كعوما ، أي جبن وضعف .
وبإضافة الواو في الأول ينشأ (وكع) البعير ، أي سقط ضعفا .
وبإضافة حرف علة ، في الوسط ينشأ (كاع) ، إذا هاب وجبن .
وبإضافة حرف علة في الآخر ينشأ (كما) ، أي جبن . والاكماء ،
الحناء .

(١) حروف الحلق يجسمها قول الناقم : همز غهاء ثم عين حاء مبهلتان
ثم غين حاء .
(٢) أحرف الصنير : هي ، السين والزاي ، والصاد ، ويلحق بهما
ما يتأخر بها .

ويقال : كبسع ، أى نل ، و (كخج) انتقبض . و (كخج) هرب ، وكثمت
الابل : استرخت بطونها .

ويبدال الكاف خاء تنشأ المواد : (خنج) الصبي ، أى تحم وأنهكه
البكاء ...

(و خج) المصاب : اضمحل . و (خرج) الرجل : ضعف . ومثله :
خشع خضع خنع . ولخع الرجل أى استرخى جسمه .

وإن مطرة على الطرق التى مرت عليها المادة المسالفة ، والمعنى العام
الذى يرتبط بالثلاثية بقوة ، يدعوننا أن نقرر : أن عددا كبيرا من الاصول
الثلاثية جاء تنمية لأصول ثنائية ، لاشك فى ذلك .



وجهات نظر في مسلك الثنائية

وقد بحث وجهات نظر حول بعض طرق « الثنائية » من المحدثين المؤيدين لها ، فأحدثت اعتراضات وجدلاً :

● ماكر الالفاظ الثنائية يرجع — عند الشيخ العلايلي — الى المجلات ، اد يرى المجلات من بقايا العصور السحيقة ، ولذا لم تخصص الوضع النظامي « فكانت وليده موضى الوضع القديم ، قبل الوضع الثابت ، وهي بذلك بداية في دور النضج اللغوي كما جاء في (مقدمته) .

وإذا فالشيخ يدعونا الى اتقاد هذه المجلات المحفوظة في المعاجم المختلفة عدة لفهم الثلاثي على وجهه الصحيح ، لأنه الأصل التاريخي الذي انفصل عنه ، يقول : « من الممكن جدا تعيين دلالات هذه الحروف — حروف الجدول الهجائي الذي سبق ذكره — بأصواتها حين كانت لغة ، على شيء من الافتراض المطلوب وسبيل هذا التعيين المجلات مطلقا ، وبالأخص منها اللوف في العربية ، سواء أكان لدينا مقرونا لو مقروفا .

وليس اعتمادها بأخذ معانيها الموجبة على وجه التحديد ، وإنما بان تنتقل منها بالقرينة الى ما هو الأدخل في تكثير السانحين واعتباراتهم (١) وإذا لاحظنا العلاقة البينة بين الممثل والمصاعف ، والمضغف الرباعي والمهبوز ، في مثل :

(عبي ، عب ، عصب ، عبا) تأكد لنا أيضا صحة ما يراه الشيخ .
والدكتور عبد الصبور شاهين يرى أن « اعتبار الممثل ثنائيا اتجاه سليم من الناحية الصوتية » (٢) .

وحين قال الشيخ العلايلي بتخاذ المجلات المختلفة عدة لفهم الثلاثي على وجهه الصحيح أدخل في اعتباره الثلاثي الصحيح أيضا ما صطوره ذلك الى المكلف .

(١) المعينة للشيخ العلايلي ص ١٣٠

(٢) في التطور اللغوي ص ١٠٢

فحين تتأمل وجهه في مادة (عل) . تجده جعلها متفرغة من (علا)
المعطة ، وأصلها (عل) لها الباء فهي عين الكلمة مكتوفة بالباء واللام ،
كأنهما سياج لها فصلت من الحذف ، مع أنها الحرف المحشو المراد ، وبذل
الحرف المعتل للعوارض حتى حذف : فكان حرف الباء الصحيح المحشور
تمويضا عن حرف العلة السقط المحذوف . ولو أسقطنا حرف الباء المراد
قبلها على سقوط الحرف المعتل لظهرت لنا الكلمة الثلاثية على صورتها
النائية الحقيقية ، فلذا هي (عل) فقط .

فأى جملع يجمعها بعد هذا بهاتين المادتين إلى الطريق الطبيعي ، لو
أرخصا (عبث) بحذف الباء وهو الحرف الوسيط إلى (عث) الذي هي
الثنائي المسقف والتي يكون معلتها (عثا) . . وعلى رسلها تعود (عثد)
إلى (عد) والتي يكون معلتها (عدا) .

ويمثّل الدكتور إبراهيم نجا على طريقة الشيخ الملايلي هذه بقوله
إنها : « مبنية على التكلف لأن تطبيقتها لا يتم إلا بتجريد الحرف الوسيط ،
الذي هو الباء في المثالين السابقين ثم تناول المادة ومبها المحلات التي وقع
فيها الحرفان على ترتيبها . مع أن تجريد مادة من حروف الوسيط إنما يكون
بمنزلة الحذف والإسقاط لذلك الحرف المحشو ، فكيف يسلم من بنية المادة
جزء لا ينجز منها ، ثم تظل هذه المادة معبرة دونه من فرضها تعبرا
كاملا » (١) .

أضف إلى ذلك أنه سيترتب على قول الشيخ الملايلي هذا : « عكس
ما ذهب إليه النحاة والصرفيون القدماء : من أن هذه الأعمال الممثلة ترجع
في الأصل إلى بنية ثلاثية ، سواء كانت ممثلة للميم أو اللام فكلمة (قام)
من (قوم) ، وكلمة (باع) من (بيع) ، وكلمة (دعا) من
(دعو) وكلمة (سعى) من (سعى) ، كما أن الفعل (وعد) ثلاثي لفظا
ونقديرا ! » .

كما أننا نلاحظ « ما في رأي الشيخ - الملايلي - من نظرة وصمة يختلف
بها عن منطق النحاة المعظمي المسار ، فقد أرادوا طرد لوران الأفعال على
وميرة واحدة : يوزن بميزان واحد هو (فعل) فحملوا المعتل على الصحيح ،

(١) فقه اللغة العربية - د . إبراهيم نجا - ص ٨٦

وسنوا مذهبهم على أساس (الخط العزيمى) الذى يشير الى الصوت الطويل
مرمر أصلى مستقل : دون الصوت القصير . كما يخلط بين صوتى الواو
اللسة والمخية ، فيشير اليهما برمز واحد ، فى مثل (وعد ، ويقوم) ، وكذلك
الياء فى مثل (يسر ، وقيل) ، فكل رمز فى الخط العربى يمثل عنصرا ذا اعتبار
فى الأصالة لو الرماده (١) .

ولكن بعدد الشيخ العلايلى — عندى — فى افتراض الصور ، لأن المرحلة
تدنيه ، وعر الغايل ونذر الشاهد ، ولذا فلا مانع من أن نتجاوز عن الوهم
القليل اذا أدى الى تصور مقبول يقوده خيال خصيب ، من عالم أريب ، وعن
واع حصيف .

ومن يطالع المقدمة للشيخ ، ويرى بصره بالعربية ، وثقافته المتنوعة ،
بصدقته فيما يتصوره ويقتنع بما يقرره .

ومحاولته الفذة لوضع (معجم لغوى) بديع غائق ، تدل على أهليته
لما يرى وتبكه واقدامه ، وتشهد بصحة ما ذهبنا اليه فى براعته ، وتكفي
أدلته الاحتمالية لذلك .



● والاستاذ جورجى ريدى ، وجهة نظر أخرى فى ارجاع الثلاثى الى
ثنائى ، أثارت أيضا اعتراضا عند بعضهم :

ذلك انه أشهر الثنائى ، هو الأصل لجميع الكلمات ، كراى القائلين بذلك ،
الا انه انفرد بإرجاع الثلاثى الى أصليين ثنائيين ، وأخذ منهما على طريق
النحت ، مثلا : (قطف) وهو مفيد للقطع وللجمع ترجع الى أصليين هما :
(قط) المبيدة للقطع و (لف) وهو مفيد للقطع وللجمع ترجع الى المبيدة
للجمع . فولدا منهما طريق النحت (قطف) المبيدة للمعينين ، على طريق
النحت ما فعل اللام فى (لف) ونقل حركتها الى ما قبلها ، فصارت قطف .

وكذلك : (قش) بمعنى جمع ما على الأرض من غلات ، ترجع لأصليين
هما : (قم) بمعنى كس ، و (قش) بمعنى جمع ، وتولد من (قم قش)
تمشى ، بطريق النحت ، بإلغاء القاف الوسطى بطريق التخفيف (٢) . وتلك
محاولة ووجهة نظر لا بأس بها .

(١) فى التطور اللغوى — ص ١٠٣

(٢) الفلسفة اللغوية ، لجورجى زيدان ص ٦٢ .

والنحت قديم ، عرفه العرب : فَنَحَتُوا الرِّيَاضَ مِثْلَ : عِشْمَ ، وَسَمَلْ ،
وَدَمَعَزَ : من عبد شمس ، ويسم الله الرحمن الرحيم ، ولدام الله عزك .
كما نَحَتُوا من الثلاثي (ضبط وضبر) ضبط ، بمعنى الرجل الشديد ،
وصالحم من (صلد ، وصحم) ... ففكره النحت نجدها قديمه قدم لغتنا ،
معه مسبوقة بها ، ولا شك .

وقرر ابن فارس في معجم (المقاييس) : أن الرياء والخملى منحوتان
دائما ، مثل : (بحثرى) بمعنى يحد ، مأخوذ من اصلين : (بحث) عن الشيء ،
و (البثر) وهو ما يظهر على البدن .

ولكن جورجى زيدان جعل النحت في الثلاثي والثلاثي أيضا ، وذلك مصلا
عن انه مجاف لوجهة نظر الأتدمين ، فانه أيضا لا يطرد في مواد كثيرة ،
فحكاه غير مبنى على استقراء واسع ، كما ذكر الدكتور ابراهيم نجا ، حين
نقده بقوله :

« وما ذكره جورجى زيدان في ارجاع الكلمة الى اصلين ثنائيين : ان كان
لكل منهما معنى في نفسه ، واداه لم يتحقق ذلك . . فلا يطو الامر من ان يكون
لاحد الاصلين معنى في نفسه اولا : فان كان الاصل الذي له المعنى في نفسه هو
الامر فعلا ، وكان الحرف المضرب الى ذلك الاصل زيد اعتباطا — وعالبا
ما يكون احد هذه الأحرف (ل . م . ن . ر) — واضيف للبهلغة ، او
تنويع الفعل بما يطابق قصده ، نحو : نض ، رمض ، وهب ، لهب . واداه لم
يكن لاحد الاصلين معنى في نفسه بالا يكون اسما ولا فعلا ، فلا يحلو من ان
يكون حرفا في غالب الامر ، وقد يكون اسما مفتقرا الى غيره ، لو كان فعلا
في الاصل ولم يعد مبهزا الآن .

وتطبيقا على ذلك ، قالوا : ان كلمة (مل) بمعنى مقتضيات مركبة من
(ما) الموصولة ولام الجر ، وحذف المجرور ، واصله : (مالى) أى الذى
لى ، أو (مالك) أى الذى لك . وكذلك كلمة (ويل) اصلها (وى) .
و (لى) . وبهذا الأسلوب رأى خريق من اللغويين : ان (ليس) مركبة من (لا)
السامية ، و (ايس) الدالة على الكون المطلق في بعض اللغات السامية . (١)

(١) فقه اللغة العربية ، دكتور نجا ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

وما رآه جورجى زيدان فى هذا الصدد ، هو جزء من القضايا الخمس التى صدر بها كتابه . تفكرها لعلاقتها الوثيقة بما نحن بصدده وهى :

- ١ - أن اللفاظ المتعارية لفظا ومعنى هى تنوعات لفظ واحد .
- ٢ - وأن اللفاظ المانعة الدالة على معنى فى غيرها (يقصد الأدوات) إنما هى يقلبها للفاظ ذات معنى فى نفسها .
- ٣ - وأن اللفاظ المنوعة الدالة على معنى فى نفسها يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية تحلّى أصواتا طبيعية .
- ٤ - وأن جميع اللفاظ المطلقة ترد قابلة للرد (بالاستقراء) إلى لفظ واحد أو بضعة اللفاظ .
- ٥ - وأن ما يستعمل للدلالة المعنوية من الفاظ ، ومع أصلا للدلالة الحسية ، ثم حمل على المجاز لنشله فى الصور الذهنية .

وهو يرمى من ذلك إلى اثبات : « أن لغتنا مؤلفة أصلا من أصول محصورة مدا أحادية المقطع ، معظمها مأخوذ من محاكاة الأصوات الخارجية ، وبعضها عن الأصوات الطبيعية ، التى ينطق بها الإنسان غريزيا » (١) . وهو استنتاج مقبول .

وإذا أسرف جورجى زيدان فى القول بالنحت أى نحت الثلاثى من ثنائيين على رأى البعض فهو خير - فى نظرى - من الذين يردون النحت فى لغتنا ، أو يقتلون منه إلى النذر اليسير والنقرة :

فالآب مرمجى لا يوافق على اتصاف الحروف المتصلة بـ « نحت » خاصة بطبيعية ، ولا بالأحادية ولا بالثنائية فى العربية ، أى نحت الثلاثى من ثنائيين ، تبعا لزعيم بعض الأكاديميين بأن الرماعى منحوت من ثلاثيين (٢) .

والأستاذ أنيس مريجة ، يرى أن « النحت قليل جدا فى لغتنا ، مثل (ماهية ، ومال) يقول : والوهم أن تظن أن (حوتل) وأشباهها منحوتة ، وأما هى مختصرات العبارات وجمل ليست كتبا بالمعنى اللغوى . ويعترف

(١) الفلسفة اللغوية ص ٢٢

(٢) معجميات عربية سلبية ص ١٠٢

بالنحت في لغت أخرى ، ويمثل بكلمة (بيولوجيا) المأخوذة من (Bios) بمعنى الحياة ، و Logos بمعنى الكلمة أو العلم .

وكلمة (تلسكوب) المأخوذة من كلمتي Tele بمعنى البعد والمسافة و Scope أى مدى الرؤية .

ويضيف بأن الجذور العربية قلبت النحت ، لأنك إذا حذف حرفاً من الحروف الأصلية أفسدت المعنى .

وإذا وفق بعضهم لنحت (برملي) للصيوان الذى يعيش في الماء واليابسة و (مخرجية) لتفسير التاريخ على أسس ملادية وروحانية . فليس معنى هذا أننا نستطيع أن نستفيد من هذه الخاصية اللغوية (١) . هذا ارتقاء الاستاذ اتيس فريجة .

وليس بالرأى ، كما سيجيء .

ووجهة نظر الأب مرمجى الدومنيكى (٢) في رد النحت أننا إذا قلنا : * أن طائفة من الثلاثيات ممكن صفورها عن ثنائيين أو ثلاثة ، حسب اختلاف مداليلها ، فلا نعلم بذلك أنها مركبة من ثنائيين منحوتين ، بل أنها نتيجة لريادتين أو ثلاث : الواحدة جرت بالتنويع ، والثانية بالاتحاد ، والآخرى بالتدويل ، مثلاً :

والثنائى (نه) قيل بالراء ، فنجم عنه (نهر) : بمعنى الزجر .

والثنائى (هر) توج بالنون ، فصدر عنه (نهر) بدلول جرى .

والثنائى (نر) أضم فيه الهاء ، فجاء منه (نهر) بهوى أنلر وأضاء .

وكذا القول في الأضداد ، مثلاً (طلع) يدل على الظهور والعباب ، فهو على رأينا - ليس بمنحوت من (طل) و (طلع) ، بل أن الثنائى (طل) ذيل بالميم ، فصدر عنه (طلع) بمعنى ظهر .

والثنائى (طع) أضم فيه اللام ، فنجم عنه (طلع) بدلول اطمأن ودرل والغاب ضرب من النزول والاطمئنان .

(١) نظريات في اللغة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) راجع المعجمية العربية في ضوء الثنائية والالسنية السامية لمرمجي

ص ١٢٥ - ١٢١

مهو لا يرى النحت في لئال هذه ، ولكن جاء الاختلاف تابعا لاختلاف
المداليل ، كما رأينا بزيادة الحروف .

ورأى أن هذا القول على طلاوته ، يحرم العربية من منفذ من منفذ
تشبيها الذاتية ، إذ أن النحت لو الاشتقاق الكبار — كما سماه بعضهم —
صنو الاشتقاق يكوانه ، وهو باب عظيم في تنمية اللغة ، و « ديناميكتها »
في الزيادة والتوليد والتماء .

والقول بنفحة النحت ، لو الغائه كلية من لغتنا قول فج ، لا يستند إلى
أساس علمي مدروس ، بل اعتبره — أنا بعد بحث ودراسة — من خواص
لغتنا وميزة لها في الثروة اللغوية كطريق من طرق الاشتقاق ، كما سماه
بعضهم بالاشتقاق (الكبار) . ولا تقتصر أمثلته على الستين أو السبعين
لغة — وهي مع ذلك ليست بالقليلة — التي وعنها بعض كتب الأدب واللغة ،
بل هو أكثر من ذلك وأوسع ، لو عالجتنا بابه معالجة فهم واستثمار . وقد
وضع فيه الأستاذ (اسماعيل مظهر) رسالة قيمة ، حاول فيها جعل أسسه
وطرقه معبدة وسلسلة كأنها قواعد وجداول رياضية .

وليس هذا محال الإغاضة أو الشرح في هذا الجانب ، وإنما سنفرده
ببحث باذن الله .

ونقول : بأن محاولة الأستاذ حورجى زيدان ورأيه في النحت ، لضارب على
الأقل — سندا جديدا ، ورصيدا بصاف إلى أدلة وأساليب
« الثنائية » .

وحسبه ما ذكر من لئلة واجتهاد توضح جانبا من جوانب الرسم
والأصل اللغوي عند وضعه الأول ، لو عند اشتقاقه بعد ذلك .

● أما مزاوول الثنائية والاسمية السامية : الأب مرمرجى الدومنى ،
فيسلك في تثبيت دعائم التنقية مسلك الاستشهاد والمقارنة بين أصوات
العربية من السامية الأم ، لمعرفته للغات عديدة (١) .

(١) يرى الأب مرمرجى — والحق فيها آره — أن المشغل باللغات =

فيطوف بالقلريء في معنى المادة بين المعالج العربي ، ويظهر اشتقاقها
ومعانيها الحسية والمعنوية .. ثم يقرنها بمعانيها في لغواتها السامية ..

ثم ينسق ويعدل على كل ما سبق وفكره ، مبينا الرسم اللغوي الذي
تضمن الفكرة الاولى من المعاني التي وردت للمادة .

ثم يشير الى كيفية اشتقاق المعاني وقربها أو بعدها ، والحقبة
والمجازي منها .

ثم يأتي أمثلة لما تلك المادة التي معه ، ويبين عليها كل المراحل التي
سبق ذكرها ، منفصلا ومطلعا ، ويخلص من كل ذلك الى ان الحذر اللغوي
واحد ، تدور حوله المعاني ، ومنه أخذت ، وعليه جاء الحرف الزائد .

فهو على سبيل المثال يذكر مادة (بر) بتشديد الراء ، ويرينا المعاني
التي تؤخذ منها في الإستعمالات والاشتقاقات ، كما جاء في العربية وأخواتها
من السامية :

فمادة « بر » في العربية بمعنى : الصدق ، والرحمة ، والطامة ،
والرواج ، والقبول ، والقهر ، والصلح ، والصلة ، والتزكية ، والمضيء ،
والرفعة ، والكثرة ، والظبة ، وركوب المر ، والملاطفة ، والطاعة ،
والتهرج ، والافتراء ، واسم من لبس الله الصنعي ، واليابسة ، ومقابل
البصر

وفي « السريانية » بر (Bar) ومن معانيها : بر ، صدق ، سذج ،
بله ، قبي ..

وفي « الممرية » Barar) ومن معانيها : نظف ، قسم ،
أختار ، صقل ، فحص .

وفي « الحبشية » Barara) ومن معانيها : طهر ، صحت ، نلذ ،
نزع ، سرق ...

والمقاربات لابد وأن يكون متضلعا في لغتين أو أكثر ، مع معرفة معانيها
وقواعدها ولهجاتها ، فضلا عن معرفة بعض الالفة غير السامية
التي لها علاقة بالعربية ، لو بغیرها من الاخوات السامية . وذكر ان
مستصيا : (من علماء السامية) المستيا هو () () ١٦٢٤ -
١٧٠٤) كان أخصاصيا بلعما ، وكان يعرف خمسا وعشرين لغة .

وفي « الأكديه » (Bararu) ومن معانيها : لضاء ، بلع ، لئلا ، فحصى ،
استقمهم ...

وفي « الأمهرية » ، و « القطرية » جاء الثنائي (بر) بمفهوم (قط ،
وئد) كما في المعجم الدثيني بتليف (Landberg) .

ثم يشير التفسير والتعليل فيرى :

إن المكرة الأولية الحسية المتضمنة في الثنائي (بر) كما في مجازاته
« بر » هي مكرة : الشق ، والقطع ، والفصل ، والإيجاد ، وهي كاملة أو ظاهرة
في بقية المعاني على اختلافها في العربية ولخواتمها : من القطع لظافة وحقل ،
واختيار وفحص ، والمبارغ منفصل عن غيره مما كان يملؤه ، والبناء ملرع من
المحتوى الطيب ، والبلاحة حرمان من العقل . ومن النقاء المادى ينتقل إلى
النقاء الأدبى والروحى في الفضائل ... وفي مزيد المادة واستنتاجاتها ،
يرجع المعانى الأخرى إلى الفكرة الأولى : فالبر (القمح) يسمى بذلك
لانصاله عن ثبته .. والقمر يلع على الدنيا نتيجة الصقل ، والصقل
مكمل لعمل التنظيف والتنقية ...

وبمناسبة ذكر (بر) مقابل (ير) ذكر الأب مرمرجى : أن كلمة (غوريم)
في الأكديه (الآشورية والبابلية) معنى السهم ، أو القطعة من الأرض ،
ويجوز أن يكون مشتقا من الرن الثنائى السامى ، وهو (بر ، لو بر) (١) .
وعلى نسق ما جاء في (بر) والمكرة الأولية التى تضمنتها ، تاتى معانى
المواد المكثزة في : (برا) في العربية ، و (Bra) في السريانية ، و (Bars)
في العبرية ، و (Bara) في الأكديه ، و (هبرا) في الفينيقية ، ، و (برا) في
السبئية .

ومثل (برا) المواد : (برح) و (برد) (٢) .

ومعد دراسة ومقارنة الإحصاءات والمراجع المتنوعة ، وفي شبه قياس
صطفى يرى الأب مرمرجى : وفرة الأصول والرماس العربية ، وتفاوتها
عددا على أصول ورماس بقية اللسن السلية ، بل ولعلها لوثر ثروة من

(١) معجيات : عربية سليمة ص ١٤ — ٢٤ متصرف .

(٢) المصدر السابق ص ١٤٤ .

لغات العالم لجمع . وهذا قول يحتاج الى مؤازرة واستعانة ودراسة
بالحاسب الالكتروني ، لتبيان الحقيقة .

كما يرى أن الأصول الموسومة بالثلاثية والرباعية المجردة ، هي بالحقيقية
موسمات اشتقاقية لرسائل الثنائية ، التي بها بدلت نشأة اللغة ، وعنهما
صدرت جميع المشتقات على تضارب أنواعها :

الرباعي — مع ما يدعمه الصرقيون من مجرسيها الرباعية — ترجع
بسهولة الى ثلاثيات ، فهي — إذن — ثلاثية مزيدة (١) .

أضف الى ذلك أن الثلاثيات المجردة الشاملة : (المثال ، والأجوف ،
والمقص ، والمهموز ، والمضاعف ومكرره) هي بأجمعها قليلة الورد أيضا الى
« الرس الثنائي » فيجدر — من ثم — طرحها من مجبوع الأصول الثلاثية ،
تبقى السلام وحده ، وهو كذلك حين رد أغلبته الى الثنائي ، مع استمرار
المناسبة المعنوية بينهما ، كما هي باقية بين الثلاثي والرباعي ، وبين الثلاثي
ومزيداته .

لها البقية الماقية الباقى تعذر ردها من الثلاثي الى الثنائي ، فذلك
يمكن عزوه الى ضياع الرسائل الثنائية ، أو فقدان غلويها الأولية ، منها
ضاعت ، أو لم ترد الأصول الثلاثية لبعض المرايدات ، أو المشتقات التي
بلغ عددها النقص أو أكثر ، كما جاء في الإحصائيات . فالرد الى « الرس
الثنائي » هو الأصل عند الأب مرجي ، وإذا لم يتمكن من ذلك يعزوه الى
اللفظ والصياغ ، كما ضاعت تصاريف بعض الأفعال في مثل (يدع ، يدر ،
عسى ، ليس) ، أو أن الخفاء جاء من خفاء المعنى الأصلي لسبب من
أسباب الضياع والمقد .

ويرى طريق توسع الثنائيات — كما أسلفنا — بتكرار الحرف الثاني ،
أو بالتكرار والمددما ، أو بزيادة الناء في الآخر ، أو بالثلاثة مجتمعة . . . وكل
التوسمات المختلفة متضمنة منطوق « الرس الثنائي » المشتقة منه ، وقد
أحصى منها ثلاثمائة وسبعة وعشرين رسا (٢) .

(١) راجع : هل العربية منطقية لمرجى ص ١٤٥ — ١٥٠

(٢) معجميلت عربية سلمية ص ٧٢ — ٨٠ بصرف .

وعلى هذا النمط الذكى الواعى فى الضبط والمخبرج ، يرد الالب مرجى
المواد الكثرة التى تتلوهها بالشرح والتأصيل ، الى رسها « الثنائى » ويتسرى
الى معانيها التى تنوع اختارها ، وينته على اصلها الذى تنقسم اليه فى
مروع السامية ، وأمكن معلورها فى الاستعمال مما يدل على فكاء والمعية ،
مكة منها تغلصه الواسعة والواعية .

وفى محالة نسرده بعض لفظة لسواد اثسار الى رسها الثنائى (١) :

مادة (بلد والبلدة) بمعنى اقام ، من بلد ، أو لبد (بالقلب) مشتق
من الثنائى « لب » . ومادة « لحن » من الثنائى (هن) .

ومادة (ملك والملاك) أصله (مل) بمعنى تكلم ، من باب الاطلاق ،
وتوسع المعنى فوصل الكلام من باب التقيد .

أما مادة (ملك والملاك) بتخفيف (ملك) ، من لأك أو لك ، ومنه الوكة
وملاكة بمعنى رسول ورسالة فأصله الثنائى (آل) ، بمعنى : أسرع .

ومادة (أدب) من داب على سبيل القاب ، وأصله الثنائى (دب)

ومادة (الشعر) من الرس الثنائى (شع) إذا برز ، وانتشر ، وتفرق ،

وأضاء .

ومادة (وثب) بمعنى قفز وتعد — على الضد — من (ثب) . ومادة
(سامور) بمعنى النار ، من (سع) دعاء للمعزى وتحريض لها للاقبال ،
وتوسع فيه فى تسمير النار .

و (الالب) أصل سالى ، من الثنائى (لب) مأخوذة من ميل الطبيعة
للانبات والايلاذ . ومثله (لم) — بين الباء والميم — وكلاهما يدل على
الاندماع الى الانواع فى المواليد . و (هواريون) من (هر أو هار) إذا
نحرك وسار .

و (الكاهن والكهنوت) من (كه) وكهكه إذا تنفس . و (هين)
عربية من (هن) والمنة ، أى القوة . و (الماروق) سامية ، للذى يوصل
بين الأمور ، وأيضاً السعيد القزع ، من (حق) الدال على الانفراج
والانفتاح .

(١) راجع معجملات عربية سامية .

هذه أمثلة مستقناها ، لمزاوئ الثنائية ، تدل على سعة ثقته فيما يمدى به ، وتمكنه فيما ارتآه . ومن شاء مزيدا ، فليراجع — ان شاء — تأليفه المعيدة في هذا الجانب .

● ومع ان علماء العرب القدامى ، ومعلمينا العربية لم تنص صراحة على القول بالاصول الثنائية كنظرية ، الا ان صلتها في التطبيق يشير الى ذلك ضمنا ، اذ تبين من تتبع كلامهم — كما اسلفنا — ومن النظر في معاجمنا الاصيلية — وجود علاقة بين فحوى المعنى العام للاصول الثنائية ، وبين الثلاثى المنفرد عن هذه الاصول ، مما يدل على ان « الثنائية » تردت في ادعائهم كنظرية ، ولستفها في اقوالهم ومعاجمهم كتطبيق ..

وقد جمع الدكتور امين غلخر بتتبع وجهد فائق امثلة كثيرة لذلك في كتابه : (ثنائية الاملظ في المعاجم العربية) وعلاقتها بالاصول الثنائية (في دراسة معجمية احصائية ، تؤكد ما ذهبنا اليه .

وهذه امثلة قليلة تبين عيسا من فيض ، مما جاء في كتبهم وقواميسهم :
لمادة (عم) اصل ثنائى يدل على العلو والارتفاع . وفي « العين »
لنخليل بن احمد : الميم : الطويل من البيات ، وبه قال ابن فارس (١)
والجوهرى (٢) .

وفي الاصول الثنائية لهذه المادة نجد المعنى :

لنى (عبد) بالبدال رجل عمدان وعبدانى اى طويل قتل ابو صيدة :
صبت الشيء اقبته فهو محمود ، وقيل تملأ : « ارم ذات العميد » (٣) اى
الطول ، وجاء عند الجوهرى (٤) وابن فارس (٥) ما يؤيد ذلك .

وفي (عبر) بلراء ما يدل على العلو والارتفاع ، كما جاء في الصحرة (٦) .

(١) المقاييس ١٥/٤

(٢) الصحاح ١٦٣/٢

(٣) المعجم : ٧

(٤) الصحاح ١٥٦/٢

(٥) المقاييس ١٣٩/٤

(٦) الصحرة ٢٨٧/٤

وعمر ك الله : دعاء يطول العمر ، والمعمرة : الضياع ، ومنه الاهلال .
بالمعمرة كما ذكر ابن فارس (١) والمعبر ايضا : المعتم على راسه .

وفي (عمق) بالتحلف ، معنى الطول لحيثنا : فقد ذكر ابن فارس (٢) عن
ابن الامريئ : العمق اذا كان صفة للطريق فهو البعد . واذا كان صفة
لشئ فهو طول جرائها .

وفي مادة (فص) بالقاء والصلاد ، ما يدل على الفصل بين شيئين ،
كما ذكر ابن فارس (٣) .

والمصوص : مفصل العظام ، قال ابو حبيدة : الا الاصابع . ونص
الجرح : سال . وقال : للجوهري : فص الامر : مفصله . . ومعنى الفصل
هذا موجود في ثلاثي هذه المادة :

فص (فصع) بالحاء ، معنى الانفصال ، يقال : فصع اللبن اذا اخذت
عنه الرغوة ، كما ذكر الجوهري (٤) .

وفي (فصد) بالذال ، معنى الانفصال ، يقال : فصد العرق والناقة ،
اذا قطع العرق ، فخرج فيه ، كما ذكره ابن دريد وغيره (٥) .

وفي (فصع) بالعين ، معنى خروج شئ من شئ ايضا (٦) : وقال
الجوهري (٧) : فصعته من كذا تفصيما ، اي اخرجته فانفصع .

وفي (فصل) باللام ، وضوح معنى الفصل ، كما في سائر المعاجم ،
ومنه الفصل اذا انفصل عن الناقة ومفصل العظام .

وفي (فصم) بالميم ، وضوح معنى الفصل ، كما في سائر المعاجم ،
فصم الشئ كسره من غير ان يبين وقال تعالى : « لا انفصام لها » (٨) .

(١) المقاييس ١٤١/٤

(٢) المقاييس ١١٤/١

(٣) المقاييس ٤٤٠/٤

(٤) الصحاح ٢٤٤/٢

(٥) الجوهري ٢٧٢/٢

(٦) المقاييس ٥٠٧/٤

(٧) الصحاح ٢٤٤/٢

(٨) البقرة : ٢٥٦

وفى (نصى) بحرف العلة ، دلالة على الانفصال أيضا ، يقال : نصبت
الشيء نصيه نصيا ، اذ ابتته منه ، كما ذكر ابن حريد (١) - وقال الجوهري (٢)
نصى الانسان اذا تخلص من الضيق والبلية ، وتنصيت من الديور اذا
تخلصت منها ، وقال الجوهري ايضا : اصم المطر : اى اقلع (٣) . واعمى
المطر ، اى اقلع (٤) .

ومن العلماء من لم يرتض القول « بالثنائية » ، وراح يعترض على
القائلين بها ، ولكل وجهة هو موليها .

(١) الجوهرة ٨٤/٢

(٢) الصحاح ٢٤٧/٢

(٣) الصحاح و (نصم)

(٤) الصحاح : (نصى)

١٠ نظرية الثلاثية

وجدنا مؤيدى نظرية « الثلاثية » يرون أن المواد اللغوية نشأت أول
أمرها ثنائية ، يتركب كل منها من مقطع واحد مطلق : أى من حرفين أولهما
محرك ، حركته قصيرة ، وثانيهما ساكن .

وأن سعة التطور والنمو كانت هى العامل الفعال فى اكتناز المادة
الثلاثية وجعلها مركبة من ثلاثة أحرف فكثر .

وكثير من المتقدمين والمحدثين من علمائنا العرب ومن غيرهم ، قال
بدك ، وأشاروا كتبهم إليه فى أبحاثهم ، وإن لم ينصوا عليه صراحة .

وقد عاصرت نظرية الثلاثية نظرية الثلاثية ، وفتراتهما فترة طويلة ، وكان
لها أنصارها ومؤيدوها من العلماء العرب وغيرهم قديما وحديثا . وعلماء
الصرف والنحو قديما من المؤيدين لها ، يقولون : بأن أقل الأبنية ثلاثة :
حرف يبدأ به ، وحرف يوقف عليه وحرف يكون واسطة بين المبدوء به
والموقوف عليه ، لتتألف أحكامها .

بل وذهب بعضهم إلى أن صيغة الكلمة مطلقا — فى الساميات عموما —
ثلاثية ، وذلك هو القياس فى الاشتقاق ، ابتداء من البابلية القديمة حتى
اللغات الحية الآن ..

وعلى أساس ذلك كان عمل اللغويين واعتباراتهم فى أصول الجذر
الثلاثى للغة ، وقياس ما وجد وما يجد من مفردات اللغة . وهذا تعميم
لا يجوز علميا ، إلا إذا ثبت على أساس منهجية .

واضطربهم ذلك إلى عهد الثماني ثلاثيا ، ليوافق ميزانهم (عمل)
ويتبطل انتصريف على مذهبهم ، ولو كان متكافئا . يقول الخليل : « وقد
تجىء أسماء لمعظمها على حرفين ، وتتلوها ومعناها على ثلاثة أحرف ، مثل
(يد) ، وإنما ذهب الثالث لحلة أنها جاءت مساوكن وخلعها المسكون ،
مثل : (بايد) فى آخر الكلمة ، فلما جاء التنوين ساكنا اجتمع ساكنا ،
مشعت التنوين لأنه أعراب ، وذهب الحرف الساكن فإذا أردت معرفتها
غاطبها فى الجمع والتصغير ، كقولهم : (أيديهم ، ويديه) (١)

(١) العين ، للخليل بن أحمد — تحقيق د . عبد الله درويش ص ٥٥ .

وتعسف النحاة في اعتبار كل ثنائي ثلاثي الأصل سقط ثالثه لعله حتى صار عندهم قاعدة ، مع أن العلة لا علاقة لها بأصل البناء ، بل بالوظيفة النحوية داخل العبارة . فالحقول بأن الثنائي جاء وفق صيغة قياسيه ، ثلثية ، وأنه أصيب بعلّة ذهبت بعجزه ، أمر أقرب إلى الصناعة منه إلى السليقة والطبيعة اللغوية .

ولكن ظلت القاعدة مرعية يتوارثها الخلف عن السلف ، يقول ابن مالك :
ولم يأتني من ثلاثي يرى قليل مصرف لما قد غير وعلى كل لعل القول
«ثلاثيه تكثر كما مثر تقعد النحو في العربية بالمنطق الصوري الاعريقي ،
فضلا عن أن المقل لا يقر القول بالثلاثية ، إلا إذا بلغ الأمر مرحلة
نضج وتنافس ، واحتياح لتفويج وتصنيف يواكب ما جد وما يجد ، لأن
اللغة ظاهرة ترافق المجتمع في نشوئه ونموه وتطوره ، ولم تصنع مسبقا
وفق مقاييس موضوعية ، بل العكس هو الصحيح .

كما أن الثلاثية وما موتها تمثل مرحلة حضارية في معاني مفرداتها ،
والانتقال من مرحلة العفوية في الوضع إلى التصنع والتعكير فيه .

ونذكر بعضهم : أن الثلاثي أكثر واحداً ، بل وانصح من غيره :

يقول ابن جني : « أن الأصول ثلاثة : ثلاثي ، ورباعي ، وخماسي .
«أكثرها استعمالاً ، وأعدلها تركيباً ، هو الثلاثي . وذلك لأنه حرف
يبدأ به ، وحرف يحشى به وحرف يوقف عليه .

وليس اعتدال الثلاثي لقلة خروجها من حسب ، ولو كان كذلك لكان الثنائي
أكثر منه اعتدالاً ، لأنه أقل خروجاً ، وليس كذلك :

«لا ترى أن ما جاء من ذوات الحرفين جزء لا تقدر له غيباً جاء من ذوات
الثلاثة ، وأقل منه ما جاء على حرف واحد . فتبكي الثلاثي إذن أنها
هو لقلة خروجها ، ولشيء آخر : وهو هجر الحشو الذي هو منه بين غايه
ولامه ، وذلك لتباينهما وتعادى حالتهما :

«لا ترى أن المبتدأ به لا يكون إلا محركاً ، وأن الموقوف عليه لا
يكون إلا ساكناً . فلما تناحرت حالاهما وسطوا العين حاجزاً بينهما ، ثلثاً يحاوي

الحرف بضد ما كان آخذا فيه ، ومنصبها اليه ، فقد وضع بذلك خفة الثلاثي « (١)

فلين جنى يعصد بالكثرة في استعمال الثلاثي وصوره ، مع اتساع معده ثنائيا نوعه الحرف الثالث .

وكلامه عن اعتدال تركيب الثلاثي يشبه كلام الفلاسفة ، وبمكرر المساطمة ، واللغة قامت لول ما قامت بعيدة عن العقل والمنطق ، تسابير سداجه البدائيين واعتباراتهم .

ولسنا نرى تماعيا بين متحرك وساكن . وحسبنا أن ابن جنى أشار الى الثنائي والاحادي .

والدكتور محمد حلمي موسى في كتابه : (احصاء جذور الصحاح بالكومبيوتر) ذكر : أن الجذور الثلاثية جاءت في العربية بنسبة ٨٥٣٧٪ الى جميع الجذور التي تبلغ ٥٦٢٩ جذرا . والجذور الرباعية جاءت بنسبة ١٣٥٨٤٪ الى جميع الجذور وجاءت الجذور الخماسية بنسبة ٦٧٤٪ . وجاءت الجذور الثنائية بنسبة ٣٧٪ الى كل الجذور . وسنعتقب على ذلك بعد قليل ، بكثرة الثنائي .

ولعل قلة الثنائي في نظر القدماء والمحدثين ترجع الى عد الثنائي بدون تضعيف للحرف الثاني ، مع أن مصاعفات الثنائي في العربية يقابلها في الساميات الثنائي بدون تضعيف : أي أن كل المصاعفات في العربية هي بالحقيقة ثنائيات ، والثنائي وارد في كل الساميات متمصفا بمعنى حقيقي ونام . وقد ورد هذه الطريقة كثيرا من الثنائيات كما ذكر الأب مرمري اندومكي . (٢)

والمجمع اللغوي المصري يعتبر الأخ لفظة في الأح ، وأصله : أخو ، تحذمت الواو ، أي أن الثنائي المضعف فيه لعتان : التضعيف وغيره . فلذا ساوينا الثنائي المضعف بها أصله ثلاثي ، فأولى أن تكون المساواة فيما لم يظهر فيه أصل ثلاثي .

(١) الحصائص ٥٥/١ .

(٢) المعجم الوسيط (ج ١) ح ١ - أخو ، والمعجمية للأب مرمري .

وحكى السيوطى فى المزهـر قول بهاء الدين السـيـبـكى فى عـروس
الأفـراح بـأن : « الثلاثى أحسن من الثنائى والخماسى ... وأن من شروط
المصـالـحـة نـوسـط الـكـلمـة بـيـن قـلـه الحـروف وكثـرتـها ، والنـوسـطـة ثـلاثـة أحـرف » .
وهذا كلام فى الجمال ، ونحن فى الكمال قبل الجمال .

وعلى كل لم تسلم هذه النظرية (الثلاثية) من النقد والأخذ والرد ،
ونطـرقت الـمـها المـفـلـمـر والـاحـتمـالات ، حـتى من مـيـن مؤيـدـيـها ، والمـمـائـلـيـن بـها ،
وهـاك طـرفـا من ذلـك :

قالوا : أن نظم الصرف العربى هو نظام صوتى بالدرجة الأولى ،
وأن لحظاً القدماء غرطوا بينه وبين الشكل الكتابى ، وقد تسبب ذلك
مرصة .. لتقديم بعض شواهد هذا الخطأ ، بين الطواهر المباعدة ، داخل
نظام علمى ملفق ، فلم على أحكامه ذكاء القدماء ، وقادتهم فيه الأجيال
حتى يومنا هذا .. « (١) » .

ومعنى هذا أنه لابد من إعادة النظر فى قواعد العربية ، وفق نظريات
علم اللغة الحديثة . إذ مع احترامنا لعلمائنا القدامى ، والقول بفضلهم
وسبقهم ، إلا أن قلة إمكاناتهم وقتذاك ، وما جد الآن من تقنيات ، جعل
مسألة الخاف فى الأصوات واسعة .

ومن علمائنا من يرى — بعد عرض النظريتين — أن نساير « وجهة
نظر الثنائين بأن أصول الألفاظ ثلاثة ، كما هو موجود فى الاستعمال
عملاً :

لأن مرحلة الاشتراك فى الحرفين مرحلة تاريخية لم يعد البحث فيها
بجدوا إلا ضمن بحث تاريخى .

ولأن الأمثلة التى ذكرها « الثنائيون » لا تكفى لإثبات نظريتهم
على استقراء واسع .

ولأنه لابد من اشتراك الساميات كلها — كأحوال للعربية — فى بحث
واسع من تلك المرحلة التاريخية ...

ثم يذكر : أن البحث فى ظاهرة الثنائية لم يجزى عنو الحاضر ، بل

(١) فى السطور اللغوى د . عبد الصبور شاهين ، ص ٢٠ .

لا بد وان في العربية من أسرارها وروابطها ، ما هو جدير بالبحث والتحري .
والإمعان .. ويدعو المهتمين باللغة الى متابعة البحث ، للوصول الى
الرأى القاطع في المسئلة . « (١)

وهو بذلك يساند الثلاثة كواقع كثير فعلى ، ويشير اليها كحدث وقع
في مرحلة تاريخية ، يعوزه البحث الواسع العميق ، والمقارنه الواضحة
بواقع . وكان الاولى — في نظرنا اعتناء الثنائية من مخدرات الشاة
الاولى للمنه ، البديل على قدم تاريخها ، ومدى التطور الذي اصابها ،
والسر الذي ملعته كما انه يدعو الى دراسة الساميت وهذا ما مدعى
اليه وترهب به .

وبعضهم يرى في الامر وان انحدر في أصول العربية من الثنائية
انه يعترف بواقع الثلاثية الآن ، يقول : « ومن استعراض حقل المفاهيم
العربية نجد ان هذه — أمثلة الثنائية — وان جاءت من حرمين اصليين
حصها بمعنى واضح حرف ثالث — تتألف الآن من ثلاثة حروف صامتة ،
تؤدي بتجميعها فكرة عالية .

ومن عرفت العربية عبر تاريخها الحافل مفاهيم تعود الى اصول
غير ثلاثية ، تعدل ما هو غير ثلاثي ، وتدخله في صميم التركيب العربي :
أي منطلق معظم الكلمات العربية من مركز بياني اساسي ، هو الاصل
الثلاثي « (٢) .

وهو يشير الى الثنائي ، ويعترف بالثنائي لكثرة استعماله ، وكان
اوى به ان يشير الى ان الثنائية من هذا المنطلق : من مخدرات الشاة
الاولى لنفسه ، أي عهد ما قبل القياس ، قبل ان يستقيم على قياس
وتوافق .

لا ان يحكم بل الثنائية بشكل مرحلة تاريخية من مراحل التطور ،
ومحاولات الى اصول ثلاثية ، بفعل تحولات داخلية بعتة ، كالمند والنسب
والرمادة .



(١) لغة اللغة العربية د . ابراهيم نجا ، ص ٨٨ ، ٧٦ .

(٢) الاكسنية العربية ، للإستاذ ريمون طحاني ، ص ٨٦ .

ونجد من ليد « الثلاثية » من المستشرقين ، يشير الى احتمالات
تؤيد « الثلاثية » في اللغات السامية — بعلية — أكثر من الثلاثية :

يقول العلامة الملقب (جرينس) :

ان ثلاثية الأصول اللغوية في الفعل والاسم ملتزم بدقة واطراد في اللغات
السامية ، ادرجة ان اللغة في بعض الحالات تصطنع طرائق معينة
للاحتفاظ بثلاثة الأصول ذات المقطعين ، ولو بصفة ظاهرة ، كما في .
(عدة وثقة) وكما في الاسماء الستة العربية .

غير ان كثيرا من الأصول الثلاثية يمكن ردها الى اصول ثنائية ،
نسبها جذورا ، تفرعت منها جذوع ثلاثية وفوق الثلاثية . (١)

وفي نفس الاتجاه ، يقول العلامة ، (رينان) الفرنسي :

« ان من بين الأصول الثلاثية أنواعا من الأفعال ، تعد ثنائية ولا تعد
ثلاثية ، الا لاعتبارات صرفية ، تلك هي الأفعال المضعمة والمعتلة التي
لا يكون فيها لتكرار الحرف الثاني ، او لاضافة حرف العلة تأثير يذكر في تعبير
المعنى الأساسي الذي يفيد الأصل « الثنائي » ، ومثل لذلك بمادة :
(ند) وناد ، وتندد ، وبدا ، بمعنى تمايل وتفرق .. »

ثم يعود (رينان) فيقول : « وان الأعمال الثلاثية المركبة من حروف
صحيحة ، نجد في جميع الحالات تقريبا ان أحد أحرفها الثلاثية أضعف من
الآخرين ، وأنه لا يحدث في المعنى الأساسي الا تعديلا طفيفا » (٢) .

فهو يعد من الأعمال الثلاثية أمثالا ثنائية الأصل ، وان كانت ثلاثية
الصورة لاعتبارات صرفية ، ويجعل أحد الأحرف الثلاثية صعبا ، ولو
كان صعبا .

وهذه ظاهرة تستوقف النظر وتواكب ما ارتأه الشيخ الحلبي حين
جعل (عل) من (علا) المستطاة ، وأصلها (عل) (٣) .

(١) مجلة كلية الآداب الليبية ج ٤ ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٠٩ .

(٣) فقه اللغة العربية للدكتور نجا ، ص ٨٦ .

ونجد من الباحثين من يضع مفردات العربية في نظم رياضي ، قوامه «هيكل الثلاثي» ، وكأنه بذلك بضعتا أمام الأمر الواقع ، غيري : أن العربية لغة الأحرف التي تخضع في وضع مفرداتها لنظام رياضي متكامل ، يتألف الهيكل عادة من ثلاثة حروف صامتة ، برسط به ، أو تجمع حروجه لنؤدي فكره علمية حسية قد تعمل بها عوامل التجريد ، والتصعيد ، والتعميم ، والتخصيص ، والانتقال بالمعنى (Mu Tation) ويخذ الهيكل الأصلي احكاما واشكالا وصيفا تعود رغم تنوع معناها الى الفكرة الأساسية المشتركة .

والطريف أن النظام الرياضي المتكامل — الذي اعتقده — حملته يقدم على احصائيات عددية ، نظن أن لعتنا لا تقتضيه عابيا ، يقول :

« ويمكن احصاء المفردات العربية التي تتألف من صوت واحد بالطريقة التالية : تتألف اصوات اللغة العربية الصامتة من ٢٩ حرفا — باعتبار الهزة — تدخل عليها الحركات الخفيفة والمحدودة ، (اي الفتح والضم والكسر ، في هاتين الحركتين : الخفيفة والمحدودة) فيكون ما يتألف من حرف واحد هو $29 \times 6 = 174$ مثل : (هم — ها ، في ، هو ، ذا ، نو ، ذي ... وبعض حروف العطف ، والاستفهام ، والجر ، والتسم ، والنحية ، والنداء . وبعض الضمائر المتصلة المرفوعة ، والمنصوبة ، والمجرورة .

وفي (امر) اللغيف المرفوق ، مثل : ق ، ف ، ش ... من : وقى ، وفي ، وشى . واشبع العرب ومن الصوت المنهوك بهاء السكت ، فقالوا : نه ، ونه ، وشه (١) .

ويذكر أن العربية اعتدلت في وضع مفردات تتألف من حرفين صامتين ، تضاف اليها الحركات الخفيفة والثقيلة ، ويتم ذلك نظريا بالعملية الحسابية التالية : ٢٩ حرفا ، او ٢٨ (باستقاط الهزة التي تتلاشى أحيانا في حركات المد) فتكون $29 \times 28 = 812$ ، ولا نجد عمليا في العرصة الا عشرات من الكلمات فقط ، وردت في بعض كتب اللغة ، مثل (امب) ، أم ، اح ، لصت ، هم ، هم ، يد ، بن ، بنت اسم ، شفة ، رثة ... (وتعد

(١) الألسنة العربية ، للاستاذ ريمون بلحان ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

ألحقت بعض هذه الثنائيات أحرف إضافية ثلاث لفظها ، وأدخلتها في الشكل العربي المساند والثنائع . (3) .

ولأنه يرى أن معظم الكلمات في العربية ينشأ عن أصول ثلاثة (ثلاثة حروف صامتة وغير مصوتة) ، هي حجر الزاوية في اسلمة صرح التنظيم الرياضي اللغوي المتكامل ، يقول : أن الثلاثي هو الذي يؤدي إلى اكتناز العربية ، ويحدث ذلك نظريا على الشكل التالي :

$26 \times 27 \times 28$ (بإهمال تنوع حركات الأصول الثلاثية) ينتج ١٩٦٥٦ ويذكر أن العربية قد تكفي بعدد صغير من الجذور (٣٠٠٠ مقيما) يتم بموجبها وضع معظم الكلمات العربية ..

وبالتنظيم الرياضي اللغوي ، يرى أننا لو استثمرنا الأصول الرباعية ، لأضى الأمر إلى لغة رمزية ، تفوق فيها وسائل التعبير المفاهيم التي قد يستوعبها الفكر البشري ، إذ ينشأ عن الاستثمار : $25 \times 26 \times 27 \times 28 = 441400$ ويضاف إلى هذا العدد المربع من الجذور مشتقات الرياضي (٢) .

فالاستاذ (ريمون) يشير إلى أن اللغة العربية قد تكفي بعدد صغير من الجذور ، يمكن أن تكون (٣٠٠٠) ، وفي ذلك رد على من يدعى أن الإحصاء اللغوي للثنائيات في لغنا أقل من أن تفي بحاجة الإنسان ، وبخاصة إذا زدنا كثيرا من أصول الثلاثيات إلى ثنائيات ، وأيضا إذا أوسعنا قدر من جذور الرياضي الرياضي اللغوي .

لما إحصائياته اللغوية بعامة فإن لغتنا - صليبا - لا تتحملها ، لأن اللغة - أي لغة - تنشأ طبيعيا متدرجة ، تلاحق المضامين الاجتماعية التي سبق المداليل اللغوية ، فلة وكثرة وصيغا وصيغة ، تبعاً للتطور والحضارة ، يقول الأب مرمجي :

« اللغة نابغة السنة الطبيعية :

فهى خاصة لأهوال الاتساع المختلفة ، ولأعضاء نطقه ، وللتطورات الاجتماعية وغيرها من المؤثرات .

(١) المصدر السابق ص ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٦ ، ٨٨

وهي في بعض اجزائها : قياسية ، منتظمة ، محكمة . وفي البعض
الآخر : سماعية لا ضابط ولا قيد لها .
وقواعدها ليست قواعد حسابية رياضية .

ولا هي كتبه المعدة للطبع التي تشتمل حروفها ، وبضبط
صالحها بالآلة الطابعة ، فيمكن الطباع أن يستخرج منها عددا من النسخ
غير المحصورة ، واحدها ضميمه لكتبا ، دون اختلاف (١) .

وهذا الكلام بما نحن فيه ليس وانسبه ، وسمي مع طبيعة العلم
التي قدسنا انها لم تكن في اول امرها منطقية ، لأنها حينئذ لم تعرف
المطلق ، ولكنها واكت الطبيعة والحياة في تدرجها ، سنة الحياة والاحياء .

* * *

(١) معجمات عربية منطقية ص ١٠٨ /

الثنائية في الميزان

القائلون بنظرية « الثنائية » منطقيون ، ولم يبدلوا من فراغ ، ولم يكونوا أسارى الوهم والخداع ، كما لم يدفعهم التحرض والجرأة على قول ما قالوا ، وما أثير في وجههم من اعتراضات لم تثبت عند التنفيذ :

● عقد استنتاج (جورجى زيدان) : أن لغتنا مؤلفة أصلا من أصول محصورة عدا ، أحادية المقطع ، معظمها مأخوذ عن محاكاة الأصوات الخارجة ، وبعضها عن الأصوات الطبيعية التي ينطق بها اللسان غريزيا . وبني استنتاجه على مرتكزين يؤيدهما الواقع ، وتسندهما الشواهد ويخدمان قضية الثنائية ، وهما — كما أسلفنا —

أن الألفاظ المائعة الدالة على معنى في غيرها — ويقصد بها الأدوات — أنها هي بقايا اللفاظ ذات معنى في نفسها .

وأن الألفاظ المائعة الدالة على معنى في نفسها يرد معظمها بالاستقراء إلى أصول ثنائية تحاكي أصواتا طبيعية ، ونظم الأسماء والأفعال وما يشتق منها .

وحين قرر ذلك جورجى زيدان ، لاحظ أن الألفاظ المتحدة تتقارب لفظا عند اشتراكها في حرفين ، هما : حابل المعنى الأصلي ، ثم يأتي الحرف الثالث — على الجذور الثنائية التي هي حوامل المعنى — لتنويع المادة اللغوية ، وتطوير الاستعمال الدلالي فقط ، من طريق الاشتقاق الكبير ، والأكبر ، والكل (النحت) .

وهو بتقريره ليس مدعا بين اللغويين ، فقد أشار إلى ذلك : الخليل ابن أحمد ، وسيبويه ، والفارسي ، وابن جني ، وابن فارس ..

ووصف بعضهم هذا الاتجاه بالمغالاة ، وأحلام النقطة والتخييلات . يقول الدكتور أنيس : « لقد عانى ابن جني في هذا ، ومعه الثعلبي صاحب (فقه اللغة) : إذ جعل مجرد الاشتراك في أصلين فقط من الأصول الثلاثة دليلا على الاشتراك في علم لبعض الكلمات ، فيقرر : أن المعنى العلم (للفرقة) يكون مصوبى (للفاء والراء) ، والمعنى العلم (للمقطع) يكون (بالفتاء والطاء)

أنى غير ذلك من تخيلات وتكلمات تشبه أحلام اليقظة ، منذ رجل ، استند
ولعه وأعجابه باللغة العربية ، فيتصور فيها ما ليس منها ، واضفى عليها
من مظاهر السحر ما لا يصح في الأذهان ولا تقصف به لغات من لغات
النشر » (١) .

وفي قول الدكتور أنيس الغناء سريع المسألة يرمتها ، وإهمال لسانها
تقرره الأقدمون في هذا الصدد ، وما حو به بطون المعاجم وشله العقل
وأيده الاستعمال ، والتتوق الرأى .

ومن يطلع على البحث التطبيقي عن : (ثنائية الألفاظ في المعاجم العربية
وعلاقتها بالاصول الثلاثية) ، ويتابع ما بدأه بتان وروية ، يجد صديق
وثبات وصحة ما قرره السلف من علمائنا .

والشيخ العلايلي يمتدح جورجى زيدان بأنه : تنبه الى أن الثلاثى متفرع
من ثنائى سابق لا فى الاشتقاق فقط ، كما فهمه الأقدمون حين ذهبوا يطبقونه
فى الأبدال وتعاقب الحروف ، بل فى الشؤون اللغوى أيضا .

ويضيف الشيخ العلايلي : بأننا اذا حاولنا انصافا ، علم تكن انكاره
فى نحوها بأكثر من أفكار كتاب « العين » التى بنى الخليل بن أحمد ،
وأرسلها أرسالا (٢) .

ولذا يدعونا الدكتور عبد الصور شاهين ، الى أن نحسن تتبع آراء
الأقدمين فى مظهرها ، وأن نستقصى بصورة كاملة مذاهبهم ، ليتم تحقيق
التكامل بين آرائنا وآراء الأقدمين . (٣) وهى دعوة هرية بالمسارعة بالقبول ،
لخدمة لغة الضاد .



● ويتفق أصل الوضع اللغوى عند العلماء الفاضلين بالثنائية ، مع
الواقع والطبيعة فى تدرج الأشياء :

(١) من لسرلر اللغة ، ص ٦٧

(٢) مقدمة العلايلي ص ١٣٦ .

(٣) فى التطور اللغوى ص ٩٠ .

فقد نطق الإنسان لولا مقاطع واحدة ، أو (هجاء واحدا) - كما يرى الأب أنسلم الكرملي - أي بناء مكونا من صامت ومصوت (سواء أكان المصوت فتحة أم كسرة أم ضمة) وربما اتعده صامتا ، فتكون الصورة المقطعية ، وهي بذلك في أجمالها أشبه إلى مصطلح الهجاء الواحد ، وذلك بطريقة تساير الواقع ، ولا يختلف نظرة الأب مرمجي عن هذه النظرية إلا بمصطلح شكلي ، هو الثنائية ، لأن الكلمات بين شيء تتكون من رمزين مكونين ، بصرف النظر عما بها من مصوبات هي في الحقيقة عناصر صوتية أساسية .

ورائنا كيف جعل الشيخ الملايلى ادوار اللغة متدرجة شبيه طبيعية يترقى في ادوارها بترقى الإنسان ومتطلبات حاجيا . فسلك الإنسان لذلك سلوك « الإحائية » ، ثم « الثنائية » في اختراع اللغة ، ثم كان اكتنارها بعدئذ لتكون أكثر حصوبة وأصح عطاء ، فتتمكن من العطاء الواسع ، والوفاء بما تتطلبه الحياة والأحياء .

مكان الدور الأول ، للقطع الأحادي البسيط للإنسان البدائي .

والثاني للقطعين ، حين ترمى الإنسان بعض الشيء ، تحاكي أصوات الطبيعة .

وكان الدور الثالث للصح بين الدورين السابقين ، فألف منها دلالة مركبة ، تفي بتغطية متطلباته والمداليل الاجتماعية التي تدرجت في خمس هلقات طالت حتى بلغ الإنسان رقيه ، والحضارة بروتها .

وذلك لأن : « طريقة الاشتقاق والتوسع في السلاسل قائمة على الارتقاء من الأقل والآنقص إلى الأكثر والأكمل ، أي حسب السمة الطبيعية : سنة الترقى ، وليس بالمعكس إلا من ملب الاختزال وهو نادر ، ولا يحدث في طور التكوين والنشوء ، بل في عصر الكهولة والهرم ... والعلاقة الأساسية الثابتة - دائما - وجودها بين المشتق والمشتق منه هي اللصبة المنسوبة ، مع توسع الدلالة وتطورها : بالانتقال من حير المعنى المادية الحسية ، إلى حير المداليل المجردة والمجازية ، ثم العقلية والروحية » .

هذا بعض ما قاله الأب مرمجي تليدا لمسنة الترقى الطبيعية في اللغة ، مثال أي شيء مقترح ولا يأس به من طريق - معقول - لتوسع اللغة ، وتكثر مفرداتها ، لتغطية الأحداث والمتطلبات حقيقته وغثا وطلا ، وكما لا وحالا .

والآب مرجى يؤكد ، ويصر — في موضوعية وجبرة — على أن الريادة —
التي تمت بها الموسعة — لم تكن اعتباطية ولا عشوائية ، : « دون ضبط
الحرف المطلوب ، ودون تخصيص الدور القائم به في ميدان الزملاء » ،
وملاحظة : أنه « في طور التكوين اللغوي يبدأ الريادة بالحروف من طريق
السمع دون القياس ، فتشأ بضرب من الفوضى ، ثم تسير رويدا رويدا في
سبيل التكامل والاستقرار ، فمنها ما يبلغ درجة القاعده والقياس المطلق أو
النسبي ، ومنها ما يختلف فيبقى دون نظام ... وقد تجرى هذه الريادة
بالحروف ، بعض الأحيان لمقاصد تلوح مضارية ، لا بل متضادة : « كياء
المصارمة التي يستعمل « اللغائب » والمتى ، والجمع : المذكر والمؤنث ...
والباء التي تدل على المخاطب المذكر والمؤنث ، وعلى المثنى والجمع
المذكر والمؤنث » .

وهذا ما فكره الآب مرجى ردا على اعتراض (J.A.D.M.) في
مجلة (Arientila) الصادرة في رومة (١) بأن الريادة التي تذكر فتويجا أو
أقحاما أو تذيلا — إنما هي اعتباطية وغير منصبة .

وهذا الرد منطقي يتشئ مع طبيعة اللغة واقعا ، ونارحيا محفوظا
يؤيده السماع والقياس والاستعمال ، ومخاصة في فترة التدرج وعدم
الاستقرار اللغوي التام .

يقول الشيخ العلايلي :

إن العطاء الواسع والاحكام اللغوي ، إنما حصل حين صار الثلاثي
وحدة الكلية ، فتوسع بالاشتقاق والنصريف ، أما حين كانت الاضامة
للبناء ، كانت الاضامة للثنائي ، وعلى ذلك :

لقد كانت الريادة للماء ، وهي ما تصاف للثنائي ، لصوغ الثلاثي ،
وموضعها الوسط .

وحين كانت ثلاثي ، وتضاف الى الثلاثي لتحصيل الرباعي وغيره ،
وموضعها الآخر .

وحين كانت للنصريف ، كتفعل واستعمل ... كان موضعها الأول غالبا .
وواقع اللغة يشهد ما قاله الشيخ العلايلي في البناء والاشتقاق والريادة ،
والعمرى بملك لمعه وهي شغلته الشاغل ، ترقى معه ، وينتهي حين يصطره
الحلحة نوعي وسهولة ، والحاجة أم الاختراع والتطوير .

(١) جزء ١ ، مجلد ١٦ من ٢٠٧

من ميزات الثنائية

● أصحاب نظرية التقية ، يحلون المشاكل اللغوية ، دونما عناء ولا تعسف :

من المسلم في اصول اللغة ، أن هناك منسبة بين اللفظ والمعنى تظهر للمقابل الحصيف .

وأن المادة تدور حول معنى واحد ، مثل : حرق ، وأحرق ، والحديقة . بمعنى الإحاطة .

وأن معنى البناء الواحد تتلاقى معها اختلفت أوضاع خروجه ، مثل : ركب ، وكرب ، وبرك ، وريك ، وبكر ، وكبر .. بمعنى عظم واشتد وأجهد .

وأن الألفاظ تتقارب لتقارب المعاني : مثل : أز ، وهز .. بمعنى التحريك . وقد تنشأ مشاكل من اختلاف دلالة الثلاثي أحياناً ، مثل : (نهر) ، التي وردت في جميع السجلات عدا الحبشية ، بمعنى : (الجري أو السيلان) ، وبمعنى : (الزجر في العربية ، ومعنى النور والضياء) .

فالمعاني كما تبدو متباعدة ، لا يربطها رابط . وهنا تختلف النظرة لحل المشاكل :

فالحل من منطلق أصحاب نظرية « الثلاثية » يدخل في نطاق الفرض والنضين والاحتمال .

نقد أستاذ معض العلماء (١) ، بمحاولة الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس (٢) حين لخص العوالم التي تسبب تغير المعنى عند تعدد دلالات اللفظ ، هي : قد تكون بسبب الانتقال من الحقيقة الى المجاز .

أو بسبب سوء فهم المعنى ، كما يحدث للاطلاع أحياناً في البيانات المنعزلة .

(١) في السطور اللغوي ، للدكتور عبد الصبور شاهين ص ١٢١ — ١٢٢ متصرف .

(٢) في اللهجات العربية ص ١٩٩ وما بعدها .

أو بسبب استعارة اللغة لكلمة تماثل صورة لكلمة فيها ، مثل استعارة
« العرج » بمعنى الحصن من (اليونانية) على حين أن مادة (برج) تفيد
في العربية : التزين أو صفة خاصة في المين .

أو بسبب تسيلان معنى الكلمة الأصلية القديم ، ثم استعمالها في معنى
حديث مرور الزمن ، مثل : (الهجرس) بمعنى (الفرد) في الحجاز ، ومعنى
(النعلب) هند بنى تميم .

أو بسبب تطور الصورة الصوتية في لفظة ، حتى موافقت مع صورة صوتية
أخرى ذات معنى مستقل ، كدلالة (النخب) بالناء ، على معنيين هما :
الوسخ والدرن ، والتحط والجوع . ويظهر أن دلالتها الأصلية هي
(الوسخ والدرن) لها دلالتها على (الجوع) فنأشئة عن تطور لفظة
(السخب) في بعض البيئات التي تقلب السين تاء ، كما يقول بعض أهل
اليمن (النكت) بدلا من (الناس) ، ثم جاء جامعو اللغة ونسبوا معنيين
مختلفين لكلمة (النخب) وعدوها من المشترك اللفظي . ويرى الدكتور أبيس
بأن المعاجم فيها الكثير من ذلك .

أما أصحاب « الثنائية » فهم يرون : أن الثلاثي (نهر) ليس أصلا لهذه
المعاني على نسق واحد ، بل كل واحد منها أت من مصدر خاص به ، وما
الثلاثي إلا بمثابة الحوض الذي تصب فيه مياه منبجسة من ثلاثة ينابيع ،
فتتلاقى فيه ، فينشأ من ذلك لفظ واحد ذو ثلاثة معان .

وعلى حسب معرفة موقع الحرف الذي تلت المادة « الثنائية » —
تتويجا ، أو اتعليا أو تذلليا — نجد المعنى المناسب ، لأن المادة الثلاثية
صادرة نسبة إلى كل معنى من معانيها عن ثنائي خاص ، بينه وبين الثلاثي
المشتق منه صلة معنوية ثابتة « كما يقرر الأب موهرجي (١) ، مثلا :

الثنائي : (نه) ذيل ملراء ، نجم عنه (نهر) بمعنى الزجر ، وقد وردت
صورة الثنائي في المضاعف (نهنه) .

(والثنائي : (هر) توج بالنون ... فمصدره (نهر) ، بمعنى الجري
أو السيلان ويشهد له (هرهر) لصوت الماء الكثير .

(١) المعجمية من ١٢٥ — ١٤١ ، ومعجميات عربية من ٢٠٠

(والثلاثي : (تر) لتحم فيه الهاء ، فجاء منه (نهر) بفحوى أنار
وأضاء . وجاء من الثلاثي الأجوف (نلر) بمعنى أضاء ، ومنه لفظ (النار)
للاشتعال ، و (النور) وهو الضياء) .

ولئن هذا مما ذكره الدكتور اتيس من احتمالات وتقديرات وتوليقات ؟
وقس على هذا النمط في الأضداد (طلع) بمعنى ظهر وغاب ، من
الثنائي (طل) ودبل بالعين ، فصدر عنه طلع بمعنى ظهر . والثلاثي (طع)
اتحم فيه اللام ، فنجم عنه طلع ، بحلول اطمأن ونزل ، وهو محبوس من
(طل) و (طع) على طريقة (جورجى زيدان) ، وإن كل لا يرضى هذه
الطريقة الأب مرجي .

قس على ذلك أيضاً (امر) من (لم) و (حمر وخمر) من
(حم وخم) ... (١) .

وتلك طريقة منها من السهولة ما حل الشكل ، وأرضى الباحث ،
وأوصله إلى راحة في خط يتسم بالدقة والطرامة ، وتعرزه الشواهد .

● معتل الأعمال في العربية والساميات عموماً ثنائي لا ثلاثي ، وبخاصة
في حالته الأولى :

مقد امتد خلاف المليء في ثنائية الأعمال المعتلة ، من العربية إلى
أحوالها في السامية على نحو ما يروى عن (الأب هنرى نلش) في دراسته
للنحو السامي : فالمعنى يمتد من بدايتها ، وآخرون يقولون أنها
نشأت ثلاثية .

ويقول المستشرق (ف . ر . ر . بلاك) أن الموقف الأول — ونحن معه
في ذلك — طبيعي ، لأن المصوت الطويل في الأعمال التي يكون الصامت
الثاني من أصلها واوا أو ياء ، إنما يأتي من إطالة المصوت القصير الداخلي
في الثنائي (قل Qala) منصرف (قال Qala وكذلك قل Qila) منصرف (قيل Qila)
و (يقل Yalqolo) منصرف (يتول Yalqoolo) . وبهذا دخلت في نظام العمل الثلاثي .
بينما يؤيد الأب (هنرى نلش) أنها كلفت منذ البدائية ثلاثية ، إذ

(١) المصدر السابق .

يلاحظ هذا الوضع الثلاثي لها في الجغرافية والتجربة من اللغات الحيثية ،
ولأنَّ الأصوات الطويلة لها هي نتيجة القلب لو الحذف « (١) » .

ولكن اذا علينا :

أن (الأب غليش) يقرر أن في العربية وفي أخواتها السانيات أصولا
ثنائية .

وإن المستشرق (رينان الفرنسي) يقول — كما ذكرنا من قبل — بثنائية
المعنى من الأعمال ، لأن أضلة حرف العلة ليس له تأثير يذكر في معبر
المعنى الأسس الذي يفيد الأصل الثنائي ، بل ويمتد عدم التأثير السابق
إلى العمل الصحيح غالبا ، لأن أحد حروفه أضعف من الآخرين .

وإذا تذكرنا أن الشيخ الملايلي قال : أن المعنى من بقايا العهد
السحيقة ، وأنها أثيرة وجدت قبل انتظام الوضع اللغوي ، ولأن اعتبار المعنى
ثنائي هو اتجاه سليم من الناحية الصوتية ، كما جاء في (التطور اللغوي) .

إذا اعتبرنا ما سبق لمكننا أن نقرر وجهة نظر القائلين بأن معنى
الأعمال — ولا سيما معنى العين — وضع ثنائي ، في واقعها واستعمالها ،
وفي حالتها الأولى .. فالمعنى ثنائي الحق بالثلاثيات وهو ثنائي لمعناها ،
وإن بدا ثلاثيا خطأ في العربية .

أما حين تشير بعض تصاريح الكلمة إلى الثلاثية ، فنبادر بالقول : بأن
ذلك طريق من طرق اكتشاف البنية « الثنائية » — كما أسلفنا — في العربية .

والمصنف أصله ثنائي ، ولم يبد ثلاثيا إلا في الصورة ، ولم تكن ثنائية
خداع :

فتمصيف الحرف — كما قلنا — طريق من طرق الاكتناز ، وصورة
المصنف كان في الأصل ثنائي المقطع ، نظرا إلى الصورة الملوطة بها ، دون
التفات إلى الحرف المكرر بمثابة حرفين :

يقول ابن دريد : « والثنتي الصحيح لا يكون حرفين البتة إلا والثاني

(١) العربية المصحى ص ٢٥٠

ثقل (أي مضعف) حتى يصير على ثلاثة أحرف : اللفظ ثنائي ، والمعنى ثلاثي ... » (١) .

ويعلق الدكتور إبراهيم نجا ، على ذلك بقوله :

« واعتبار المضعف الثلاثي من باب الثنائي ليس غريباً عن علماء اللغة قديماً وحديثاً ، خاصة وأنهم ينظرون إلى اللغات السامية بمنظار واحد — كما فعل الأب مرمجي — فقد عقد موازنات بين المضعف الثلاثي في العربية ، وبين ما يقابله في السريانية ، فبين أنه لا يقابله في السريانية إلا حرفان ، مثل (مح) بتشديد الصاد ، فيقابلها في السريانية (مح) بلسكان الصاد ... » (٢) .

ولكن الدكتور رمضان عبد التواب ، يرى أن الأب مرمجي ، قد « خدعه ما آل إليه المضعف الثلاثي في بعض اللغات السامية ، بعد أن سكنت أواخر كلماتها ، لسقوط الحركات الأعرابية وغيرها ، فضاع التضعيف منها وصارت على حرفين ، فظن هذا هو الأصل فيها ... ونسى الأب مرمجي : أنه عند استناد المضعف إلى الضمائر في العبرية والسريانية ، يظهر التضعيف » (٣) .

وأقول : إن الأمر ليس فيه خداع : فالثنائية باتية للمادة وإن ضمنت ، كما أن المضعف لا يفقد ثنائيته إذا ارتد إلى معتل المين ، مثل : (كاع ، ذام ، زير ، مير) من (كح ، فم ، زر ، مر) . (٤) .

فالتضعيف حقق للكلمة العربية الانتقال من الثنائية إلى الثلاثية في أواخر الدور الثاني في رأي الشيخ العلايلي .

يضاف إلى ذلك أن الثلاثي حين تفرع عن ثنائي سابق ، إنما كان ذلك في النشوء اللغوي قبل أن يكون في الاشتقاق فقط . فإذا احتفظت وحملت قواعدها العربية — وفي مقدمتها معجم مقاييس اللغة لابن فارس — بالتضعيف ، وبدأ الثنائي في صورة الثلاثي ، فإن مرد ذلك إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى .



(١) معجم الجوهرة ، لابن دريد ١٢/١

(٢) لغة اللغة العربية ، د . نجا ، ص ٨٤ ، ٨٥

(٣) أصول في لغة اللغة ص ٢٦٦

(٤) مقدمة العلايلي ص ١٢٢

الثنائي كشيء

الثنائي ليس بالقليل في العربية : كل الألفية في التعبير كافية في المرحلة الأولى لأنفسنا لا يرتفع عن الفروع وليس له من مطلب حيثه المعيشية سوى الضروريات التي يحتاج للتعبير عنها .

وحيث دعت الحاجة للتعبير سلك طريق الثنائية ، وذلك أمر مسلم به في اختراع اللغة وتدرج الأشياء ، وله آثار في كل لغة انسانية احتفظت بأسولها التقنية الصحيحة . وإذا بحث قليلة فهي — عند البدائيين — كانية .

وقد أتت من الأسماء والأدوات والحروف تنشئة الكثر أيضا ، مثل : أب ، أخ ، أم ، ابن ، يد ، دم ، شفة ، لثة ، ركة ... ومثل : كم ، وما (الموصولة) ... ومثل : لو ، لا ، بل ، ما (النافية) ..

وإذا اعتبرنا الثلاثي وما بعده مضمنا من الثنائية ، كان عدد الأصول الثنائية كثيرا ويقرر الدكتور محمود حجازي : أن أكثر الكلمات الثنائية : « قد تطورت في اتجاه الثلاثي لأحداث ضرب من النوازن ، لكن تصبغ بمائلة لأكثر الكلمات العربية ، وهي الكلمات الثلاثية » (١) . فبها ثنائي ، ومنها ثلاثي ، ولعل في هذا ضرب من النوازن على هذا الرأي .

وليست نشأة اللغة في أوليتها منطقية ، حتى تخضع للتقدير الكمي « وقياس (الكومبيوتر) ، حتى تقبل بعض موادها ، ويرفض البعض الآخر ، إذ لم يكن هناك منطق ولا قياس ، وإنما هناك تعبير يواكب في تدرجه وتطوره تطور الكثر الحي الذي ينطق . فالتدرج الضئيل من الثنائي — في نظر بعض الباحثين المعاصرين — كان كافيا في الفهم والاهتمام والتعبير والتغطية والأشباع والامتناع في اعتبارات السذج وقتذاك .

فالثنائية ليست قليلة ، باعتبار معيشتها لفترة الأسس البدائي ، بل تذكر المعاجم طائفة كبيرة من المفردات ذات الصوتين الصحيحين ، من

(١) علم اللغة العربية ص ٢٠٦

الاسماء ، مثل (عم ، عم ، هم ، هم) ، ومثل : (مثل ، مثل) ،
 دعا ، معنى (...) من الإفعال .
 وأيضا وجود طائفة أكبر من بنات الصحيحين المضغفة الثاني ، نحو :
 (اب ، اد ، مج ، حج ، مد ، شد ، هد ، من ، كف ، ثم ...) وهي
 كلها ثنائيات جرى عليها بعض التغير الصوتي عند الاستناد أو الإصالة ،
 لأسباب صوتية محضة .

وهناك بحث حديث قيم ، ثبت أن ما كتب بالخط المسامري ، منذ أربعة
 آلاف سنة ، قبل الميلاد ، دال على وجود صلات لغوية بينه — ما كتب بالخط
 المسامري — وبين لغات الجزيرة الحية ، ولا سيما العربية .
 وإن اللغة الأكديّة (السامية) أول وأقدم لغة مدونة بقواعدها ..
 يغلب عليها البناء (الثنائي) المقطعي للكلمة ، وبعد هذا البناء الصورة
 الأولى لتشكيل الوحدات الدالة على المعاني ، والتي تكون الجذر أو الفواة
 التي تدل على المعنى المطلق في الأصل ، ثم تتطور من حيث الشكل بالتغير
 الحركي الداخلي ، أو بالإصالة اليها ، لتدل على معان جديدة ، تشترك
 مع الوحدة الأولى في المعنى الكلي ، وتعتبر عنها . بمعنى جزئي خالص . (١) .
 واللغة ترافق الإنسان ، والانسان في تخرم دائم .

وذلك كله يدل على انتماق لغات الجزيرة في كثير من السمات ، وكثرة
 وجود الأبنية التثنائية المردات ، ذات العلاقة الوثيقة المباشرة بالحياة
 الاجتماعية البدائية والوثيقة الصلة بشئون الحياة اليومية .
 كما يؤكد الدلالة على أن المردات الأولى للغة كانت ببساطة شئون
 الحياة ذاتها . وتنتمى بالانسان وأعضاء جسمه ، مثل : (يد ، فم ، رأس ،
 سنن ، كف ، دم ...) ، أو تتعلق بخوى قرياء ، مثل : (أب ، أم ،
 أخ ، عم ، بن ابن ، بنت ...) . أو تتعلق بأحداث الحياة البدائية ،
 مثل : (قام ، نام ، سال ، راح ، جاء ، شد ، يد ، هد ، كل ، خذ ،)
 ثم جاءت الأبنية (الثلاثية) تحمل معنى حضارية ، تدل على الاستقرار
 واتساع الحياة والتعلق في الميافة ، والتصد إلى الانتقال .

(١) د . باكزه رقيق حلمي ، مجلة المجمع اللغوي الأرمني صدد ٢

مجلد / ١ ص ٦٠ وما بعدها ، بتصريف .

فإذا جاء من اسلافنا على أن : « كلام العرب منى على أربعة أصناف :
على الثلاثى ، والرباعى ، والخملى » . ثم يحكم بل : « بنات الحرفين في
الكلام قليل » (١) . . قلنا : لا يمنعنا ذلك — كما لم يمنعهم — من الاعتراف
بوجود البناء (الثنائى) مستقلا عن (الثلاثى) وليس منه ، وأنه نشأ في
المرحلة البدائية لنشوء اللغة .

كما سبق أن رددنا اعتبارهم الثنائى المعقل ثلاثيا مقط ثلاثة لعل ،
لأن العلة لا علاقه لها بأصل البناء ، بل هي تغييرات صوتية محضة تطرأ
عند الاسناد أو الإضافة لتغيير الدلالة الوضعية النحوية .

والميزان الصرفى ، إنما هو وسيلة للكشف عن خفايا اللغة ، وأسرارها ،
وتبوير أصناف مفرداتها ، وليس لتصنيف الأصول ، وإخصاغ جميع
المعردات له .

وفي دراسة قيمة وجادة للدكتورة باكزة رفيق حلى ، نشر — أيضا —
الى أن الثنائية ليست قليلة في الأصول اللغوية ، وإنما هي كثيرة في العربية
وشقيقاتها (المسايلات) بل وأكثر من ذلك في جميع اللغات معلة ، حين
نتقل عن (Blood Field) :

« ولو أجرينا دراسة دقيقة للمعردات وبنيتها في اللغة العربية ، وفي
لغات الجزيرة العربية الأخرى لوجدنا أن بالإمكان أرجاع معظم مفردات
هذه اللغات الى البناء الثنائى ، وهو أبسط صورة لبناء الكلمة ، ليس في
لغات الجزيرة العربية مقط ، بل في جميع اللغات ، فالوحدات اللغوية
الوحيدة المتطعم (Monosyllabic) ربما كانت هي الأصول الأولى التى نشأت
منها وتطورت الوحدات المتعددة المقاطع : أما بتغيير الحركات الداخلية ،
وأما بإضافة مقاطع خارجية الى صدورها ، أو أحشائها أو أعجازها . » (٢) .
ونكرت الدكتورة باكزة جهود علماء النحى واللغة العرب ، في استقصاء
أصول الكلمة ، وما يجرى عليها من تغيير ، وما يمتريها من تطور بالاعلال
والإبدال والتقلب والحذف والإدغام . . . حتى توصلوا الى نتائج طيبة وبذلة
في أبواب الصرف ، والاستقاق ، ساعد عليها سعة العربية وفقتها وبرودتها .

(١) الكتاب لسيوييه ١٩٦/٢ ، ومعجم العين للخليل ص ٥٦

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردنى عدد ٢ م / ١ ص ٧٠ وما بعدها

متصرف .

وفكرت — بحق — أن بعض نتائج علمائنا ، بحلجة إلى أعلاء النظر
 غيها وغرق أسس علمية ، ساعدت الوسط العلمي الحديثة على اكتشافها .
 وعذر الاتمين في ذلك أنهم لم يكونوا يملكون من وسائل الاحتبار سوى
 المكر والتجربة الذاتية في نطق الحروف ، وتحديد مواعدها في جهاز النطق ،
 وعلى الرغم من ذلك : فقد لصلبوا في الكثير من نتائج أبحاثهم . . إلى أن
 وصلت إلى قول الخليل بن أحمد بلن « كلام العرب مبني على أربعة أصناف :
 على الثنائي ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي » وقلت :

« ولعل في فكر الثنائي بقاء البناء الذي يتألف من صوتين صحيحين ،
 وذكر لذلك الأمثلة (قد ، هل ، لو ، بل) . ولكنه لم يصب ، إذ حدد هذه
 يملأها تكون في حروف المعاني فقط .

أما الاسم والفعل فلا يردان على أقل من ثلاثة . ولغاته أن الكلمات
 الاسمية : (لب ، أم ، أخ ، عم ، عم) لا تختلف من حيث البناء وعدد
 الأصوات الصحيحة عن بناء الأمثلة التي ذكرها ، وأساس البناء كما حدد
 هو الصوت الصحيح ، وربما كان السبب في ذلك : هو خضوع المفردات
 الاسمية والفعلية للأعراب والاستقاي والتصرف ، وجمود انية حروف
 المعاني في حالة لا تقبل التغيير .

بالخليل — في نظر الدكتور — بل إلى الصناعة لا إلى السليقة والطبيعة
 اللغوية ، التي يقتضيها عهد الثنائية في مفرداتها التي هي من مخدرات النشأة
 الأولى للغة ، في عهد ما قبل التنبيه للقياس ، ولذا يجب أن تعالج معالجة
 خاصة ، وفق منطق الواقع ، والتراث القديم . وقد كلن الخليل — رحمه الله
 — يعتمد على نواته للأصوات : فقد كان يفتح فاه بالف ، ثم يظهر الحرف ،
 فجو : (أب ، لت ... الخ) .

واشارت الدكتور بأكرة ، إلى أن (الأكسية) — هي من أقدم صور
 لغات الجزيرة العربية وقوية الصلة بالعربية — تلتزم بالأعراب في جميع
 الحالات ، ونهيات الاسم ، تحمل علامات الأعراب بأصوات المد (و ، ي)
 وليس بالحركات كما في العربية وضمت علامات الأعراب في الأكسية عند
 الكتابة ، ومع ضم مهي تنقية في مثل : (طيب = (Tabu) بعيد = (Raku)
 رب = (Rabu)) .

وعادت البكتورة بلكرة الى لغت الجزيرة العربية بعملة ، والعربية
محسنة ، وفكرت ان المقارنات اثبتت انها تتفق جميعا في ان الصيغة
الثنائية فيها — الاسمية والفعلية — تشمل طائفة كبيرة جدا من المفردات
تكاد تفوق الثلاثيات عدا .

وانها فنظم العائلات الآتية :

١ - الأعمال الناقصة من حيث التصريف والوظيفة النحوية ، وعددها —
كما ذكر النحاة — سبعة عشر ، منها احدى عشر فعلا ثنائيا ، هي : كان ، صار ،
ظل ، بات ، آض ، عاد ، خدا ، راح ، ما (برح) ، ما (دام) ، ما
(رال) ، وليس (١) وفي الاكبية ما يمثل ذلك ، مثل (Kano) وكذا في العبرية .
٢ — والأسماء المعروفة بالاسماء الستة ، من النحاة من يعربها بالحركات ،
ومنهم من يعربها بالحروف ، وهي في الحقيقة لا تخضع لاحكام الاعراب
المعروفة ، لأنها من ذوات المقطع الواحد القصير ، ويتطلب الصاق اللواحق
بها من مد حركاتها النهائية ، كما في نحو : (ابوك واخوك وفوك) .
وعند الافراد ان تعرب كما تعرب الاسماء الأخرى ، (جاء الأب ،
ورأيت الأخ) . (٢) وفي الاكبية ما يمثلها ، نحو : (Hamu, Ann, Abu) وكذلك
في العبرية . ويلاحظ هنا أن بعض هذه الاسماء أحادية البقاء في اللغات
الثلاث (الاكبية ، والعربية ، والعبرية) : أي أنها تتألف من صوت صحيح
واحد وحركة مد طويلة ، وفي الاكبية والعبرية عدد ونير من هذه الكلمات
الأحادية .

٣ — الاسماء الثنائية ، عدا الاسماء الستة ، الوحيدة المقطع ، وهي
كثيرة في جميع اللغات العربية .

وهي إما ان تكون وحيدة المقطع قصيرة الحركة ، وتكون على اصناف ،
خمسة :

(١) ما يكون مفتوح الاول ، وهو الخائب ، نحو : (قد ، يم ، يد ،
حم ، ضم ، هم ، كف ، فف ، رف ، خد ، جد ، صف ، بط ، رب ، حج ،
طبه) .

(١) الكافية (شرح الاسترلابي) ٢ / ٢٩٠

(٢) هجع الهوامع ، السيوطي ، ٢٨/١

(ب) وما يكون مضبوط الأول : نحو : (أم ، دب ، جب ، خف ، در ، مر ، جق ، بر) .

(ج) وما يكون مكسور الأول ، نحو : (قط ، هر ، زق ، بق ، شمس ، دن ، كن) .

وفي اللغات الأكسية ما يقابلها تهما .

٤ - الأسماء الثنائية ، ذلت التهليلت الحركية المحدودة ، نحو : (قتي ، صبا ، موى ، نوى ، جوى ، عصا ، قفا ، مها ، علا ، سهبا ، ريبا) .
٥ - الأعمال المعتلة ، وذكر النحاة ثلاثة أصناف منها : المثال ، نحو : وعد ، وهب . والأجوف ، نحو : قل ، مل . والناتص ، نحو : سمي وجري ودعا .

ولو أمعنا النظر ، لوجدنا أن المثال الأول سالم وليس معتلا : فالواو في (وعد) ليس صوتا حركيا أو حرف علة ، بل هو صوت صحيح ، مخرجه من بين الشفتين كالياء والميم ، واختلافهما عند تغيير اللفظ ليس واجبا ، وإنما هو ظاهرة حضارية شئت في اللمة الكتابية فقط وبقيت في لهجات الكلام ، فنحن نقول : (بوعد) ، و (يوهب) ، وهو بذلك ثلاثي صحيح .

أما المثالان الثانيان - في الأجوف والناتص - فهما ثنائيان ، وهرنا المد فبهما حركتان طويلتان .

وخلصت الفكرة من كل ما سبق - وأنا معها - إلى أن :

« المفردات الثنائية تفوق في العدد الثلاثيات ، وأن معظم الثلاثيات تطور من أصول ثنائية (١) . »

وفي ختام دراستها القيمة ، ندمو الباحث إلى ملاحظة الأحاديث في لغات أخرى ، كالانجليزية ، في نحو (Zoo, See, Do, Too, You, we, He, Se, Tea) ، وفي الفارسية ، نحو : (دو = اثنين ، تا = الملك العظيم ، مو = شعر ، سي = ثلاثون ، رو = وجه ، دو = غلبة ، خو = عادة ، تا = صفحة ، ما = قدم) .

وفي اللغة الكردية ، نحو : (دو = اثنان ، مو = شعر ، رو = وجه ، شو = زوج ، جو = شعر ، خو = عادة ، ري = طريق ، دي = قرية) .
وقد أطلعنا في هذا المقام ولنا عذرا ، لأن الكثرة من الباحثين دأبت على القول السريع ، بأن الثنائية في لغتنا قليلة .

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ج ١ عدد ٢ ص ٧ وما بعده
منصرف .

بحث الثنائية ليس ترفاً عقلياً

● والبحث في نظرية « الثنائية » ليس ترفاً عقلياً ، ولا أمراً هلهسياً ، ولا يتوقع في فئة تخصصية :

نحن الاعتراضات الشكلية على بحث مشكلة « الثنائية » ما اثره الأستاذ عبد القاهر المغربي معترضاً على آراء الأب مرمجى — بقوله :

« واللغة العربية الى غير هذا — من الخدمات المتولصمة — ادوج ، والى نوع آخر من العذاء الاصلاحى لتجبع وتنضج » . (١)

وهذا في رايى العاء فحج للمسألة بين أساسها ، وفلق لهاب بحث تحتاجه العربية للتأصيل والوصول الى الحقيقة في مسائل طال بحثها في غير ما تكاتفه واسمان ، تبقى الخلاف معلقاً لها ، والضباب مخيماً حولها .

ولذا يرد الأب مرمجى على الأستاذ المغربي في موضوعية مشيوبة بالقسوة ، حين يصفه بأنه : « من المتسكين بالتقديم ، وغير الواقفين على كنه (الثنائية والالسنية السالبة) ، لجهله — ما هذا العربية — بقية الالسن السالبة وقواعديتها وأسرارها وتاريخها ، وما تترض بملارننها من المعلومات والأساليب التقنية ، وهذا مما يؤسف عليه ، فان الأستاذ — مع كونه أماياً في العربية — يعسر عليه المناقشة في ذات الموضوع » .

ثم يسوق الكلام الى كل معارض للثنائية ، بقوله : « فكأنى بحضرات أثمنا الأجلء ، يؤثرون بقاء المعصية على ما هى عليه من الاضطراب ، والنضارب ، والتناثر ، والتناقض في اشتقاق الالفاظ وتطور معانيها ، على أن تسقى ويعمل سياقتها ، بحيثلى فيها الانسجام والتسلوق والمنطقية » . ثم يعود الى الحدة ، والثورة على المألوف ، ويلبسى العذر للأقسين . بقوله :

« وذلك لأن الوسيلة المقترح استخدامها ، ليلوغ هذا الارب ، هى : (الثنائية ، والالسنية) وهو ما لم يلقوه ، فلا تستمرئه ذهبيتهم التقليدية .

(١) معجىلت عربية سلبية ص ١٠٨

ولا أعالي إذا جزمت بأن نفس اللغوين الأقدمين — الذين تفرعوا بالكساء
والعبقرية — لو عاشوا في زماننا ، ولتقنوا معرفة اللغات السامية ، ووقفوا
على تقدم العلوم الألمانية في الاستقاع الغربية ، لجحدوا كثيرا من نظرياتهم ،
واعتقدوا المذاهب المسحقة — على أن ما تعذر على القدماء عمله ، من
الهي اليوم على شيوخ اللغة إجراءه في معاهدهم ، ولا سيما في وسط المجامع
اللغوية ، ومنوع لخص بين أعضاء لجان وضع المعاجم الحديثة « (١) » .

ومن النقد الشكلي أيضا لفنطرية « الثنائية » ، في نقد كتاب « هل العربية
منطقية » للأب مرمجى . ما ذكره الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، (د وصف
مثل هذا البحث بأنه « بحث خالص » يهتم المشتغلين باللغة ولصولها واث ثلتها،
ويهم المجمع اللغوى (المصرى) بشكل خالص .

ويتساءل : هل اطلع المجمع اللغوى على البحث ؟ وانخذ قرارا بشأنه أم لا .
كما يصف الثنائية بأنها هدامة للثلاثية والرباعية ، ومتوضعة لإركان
المعاجم (٢) .

ويرد الأب مرمجى على شق الاعتراض الأول ، بأن المجمع بهذا عمله
وائى عليه ، وأنه تلقى رسالتى استحسنان من صاحب السعادة المرحوم
مهدى توفيق رفعت باشا ، رئيس المجمع ، ومن صاحب المعالي عبد العزيز غمهي
باشا . كما يتبنى المؤلف أن تبني المجامع اللغوية نظريته ، لتوافر الوسائل
العلمية والفنية والمادية ، ومؤازرة المخلصين .

ويرد على الشق الثانى بأن :

« الثنائية في أمينا غير هدامة للثلاثية ولا للرباعية ، ولا هى متوضعة
أركان المعاجم ، أنها هى وسيلة التاصيل السابق طور « التصريف » :
للقائل بالثنائية يدع التصريف على ما هو للثلاثى والرباعى ويحصر عمله
في المعجبة ..

وفي هذا الحقل عيفه لا يتوخى محق الثلاثية والرباعية من اللغة ، لكنه
يرتضى بأنه : كما أن الرباعى يسوغ رده الى الثلاثى كذلك يمكن رد الثلاثى

(١) المصدر السابق .

(٢) مجلة الثقافة المصرية عدد ٥٢١

إلى ثنائي ، مما ينجم عنه أن الثلاثي ليس بدء الاشتقاق ، بل الثنائي .
ويرى علينا أن في هذه النظرية للمعجمية فوائد جمة ، منها تجلّي الانسجام
والنساق والمنطقية في تشعب الألفاظ بعضها عن بعض ،
وتوسع المعاني ويطورها ، مما هو واضح الفقدان في الحلقة الثلاثية
الحاصرة .

فمن ثم لا خشية على المعجم من الثنائية ، لأنها بالعكس تنتهي عنها
تنظيماً معقولاً منطقياً .

كما أن ترتيب المعجم الحديثة مثل : محيط المحيط ، ولقرب الموارد ،
واللسان ، لم يضر بالمعجمية ، بل نفعها ، وإن خالف بالواقع تنظيم (القاموس
المحيط ، واللسان ، والناح) ، أو بالأحرى : قلة التنسيق فيها (١) .
غير أنني أبادر فأقول : أن بحث الثنائية ، سيضيف إلى الأبحاث اللغوية
في العربية أعباء كبيرة تتطلب منا تضاعف الجهود :

فسيوجب علينا ذلك من جديد دراسة تاريخ العربية ووصفها وتطورها .
وسيوجب علينا : أن نعيد النظر فيما تعدّه اللغويون في بابي الأفعال
والإدغام ، وما أرسوه من نظريات ، وما نخلوه من تعقيلات ، وما سلّموا به
من أوزان :

فوزان قط بالتنشيد (مع) لأنها عين الكلمة لا فعل كما ذكروا على أنها
لام الكلمة ، إذا قلنا : قطع بالتنشيد على وزان فعل بالتنشيد .

وسنعيد النظر في سلاسل الاشتقاق ، وخاصة فرع القياسية
منها ، لبعثها وبحثها والانتفاع بها ، للأثر والفضيلة اللغوية ، وجعلها
مطرقة — ولو على رأي الكوفيين — للاستفادة من مادتها فيما تبطرنا به
محدثات العصر الحديث صباح مساء ، من مخلوقات اجتماعية تحتاج للألفاظ
العوية ، ويكاد هذا الجديد يصل كل يوم إلى خمسين كلمة (كما ذكر المكتب
الدائم لتنسيق التعريب في المصطلح العربي) .

وحين تقف العربية بكاء بلهاء أمام هذا الطوفان ، سيمر بها أبداؤها —
قبل أعدائها — بالعقم ، وليست العربية عقيمة ، وإنما هي ولود مرته مطواع .

ومسراجع — في ضوء النظرية من جديد — الأصول الثلاثية غير المسألة
(أى المضعفة والمضاعفة والمهموزة والمعتلة بأنفسها : المثيل ، والأجوف ،
والماقص ، والنفيف المفروق والمقرون) وكذلك مشتقاتها ، ومعالجتها في ضوء
المبادئ الحديثة (للفونولوجيا : Phonologie) .

وسيلاقى وزن (فعل) تحفظت جديدة ، إذ لا يصلح بشكله الخاصر
لقيفس الأصول الرباعية خاصة ومشتقاتها عامة .

بل أننا نستعطر الى أن نزن الرباعي المضعف ، مثل : وسوس ، على
نفع ، لا على فعل ، إذ أنه مكرر من تثنيين .

ولن نبقى هروف الزيادة محصورة في هروف (سالتونيها) . إذ أمكن
تشديد كل الهروف الأبجدية في العربية .

وستحتاج التثنيات التي انتقلت الى ثلاثيات — وكذلك مشتقاتها بالشد
والمد — الى أوزان خاصة بها ، وليست على وزن (فعل) .

ولا يخيف ذلك وغيره سفنة العربية وحياتها : غلبت صحت العزائم ،
وعلت الهمم ، وقوى الدفع ، وخلص الاخلاص ، مستغتم لغتنا ومخرنا ،
وسنبني كما بنت أجدادنا ، ونفعل فوق ما فعلوا .



وبعد

فتاريخ اللغات السامية في أكثر نواحيه غامض ، ورمال الجزيرة العربية —
وهي موطن الساميين — لا تصحح عما يصف هذا التاريخ البعيد .

ولذلك سيظل الاختلاف بين الثنائيين والثلاثيين قائما بين أبناء العربية
وغيرهم ، وسيجد كل فريق ما يبرر به القبول أو الرغص لهذه النظرية أو
ذلك . وسيبقى الأمر كما قال الأب (هنري غليش) :

« أن التحليل الداخلي للكلمة العربية أو السامية ، لتمييز الأصول
انفائسه لما ينته الى نتيجة مرضية ، ولعله من المحال أن يحدث هذا . وخلاصة
القول : أن مشكلة الثنائية لما تلق حلا » (١) .

(١) العربية الفصحى ص ٢٥١

وإذا كان علماء التاريخ ، وعلماء الأنثروبولوجيا « يتنازعون الرأي فيها »
بينهم أشد الاختلاف ، مع خبر بروي ، أو لثر يذكر ، أو شاهد يرجع ، أو
حفریات تهدى .. فان بعض اللغات أشد حيرة ، وأكثر اختلافاً ، وأوسع
مناعة .. حين يصمت التاريخ ، ويندر الشاهد ، ويعز الأثر ، ويفتقد الدليل ،
وتضيق الوثائق .

ولكن قيس الغائب على الحاضر ، وأعمال العقل في المأثور على تلكه
باعتبار أن الظاهرة تشيع .. وتقليب الفكر فيما سبق مما ذكرناه ، يجعلنى
أقرر وأنا مطمئن :

أنى أن عددا كبيرا جدا من الأصول الثلاثية وما فوقها يرد إلى أصول
ثنائية الأصل .

وأن الجذور الثنائية أصيلة وثابتة في لغتنا ، وغير قليلة .
ولعلنى بذلك الجهد المتواضع أكون قد قدمت شمعة على طريق البحث ،
تهدى السائرين ، وتحفز الباحثين على التنقيب عن الحقيقة ، حتى يسرى
الضوء جانب من جوانب العربية ،بقى زحماً في حجاب مستور .

« والله يقول الحق وهو يهdy السبيل » (١)

(١) الأحزاب : ٤

المراجع

- ١ — الأب أنستاس ماري الكرملی وآراءه اللغوية : د . ابراهيم السمرانی ، ط المعرفة بمصر سنة ١٩٦١م
- ٢ — الانتقل في علوم القرآن ، لجلال الدین السيوطی ، ط ثالثة القاهرة سنة ١٣٧٠هـ
- ٣ — جمهرة اللغة : لابن دريد الأزدي — ط حيدر آباد — الهند ١٣٤٤ هـ
- ٤ — الخصائص : لأبي الفتح عثمان بن جنى ، تحقيق الشيخ النجار ، ط دار الكتب المصرية سنة ١٣٧١ هـ
- ٥ — عبقرية اللغة العربية : للأستاذ محمد المبارك ، ط دار الفكر بیروت
- ٦ — الصين : للخليل بن أحمد ، تحقيق : د . عبد الله درويش ، ط القاهرة
- ٧ — الفلسفة اللغوية لجورجى زيدان — القاهرة سنة ١٨٨١ م
- ٨ — في التطور اللغوى : د . عبد الصبور شاهين ، ط لولى القاهرة سنة ١٣٩٥هـ
- ٩ — فقه اللغة العربية : د . ابراهيم محمد نجا ، ط السعادة بمصر سنة ١٩٧٥م
- ١٠ — فقه اللغة المقارن : د . ابراهيم السمرانی ، ط بیروت سنة ١٩٦٨م
- ١١ — اللغة وخصائص العربية : للأستاذ محمد المبارك ، ط ثالثة بیروت سنة ١٩٦٨م
- ١٢ — في علم اللغة العام : د . عبد الصبور شاهين ، ط ثالثة ، القاهرة سنة ١٣٩٧هـ
- ١٣ — في اللهجات العربية : د . ابراهيم أنيس — القاهرة
- ١٤ — الكتاب : لسيبويه ، ط بولاق بالقاهرة سنة ١٣١٦هـ
- ١٥ — الألسنية العربية : للأستاذ ريمون طحان ، ط دار الكتاب اللبنانى بیروت
- ١٦ — اللغة : ج . غنيريس ، تعريب : الدواخلى والقصاص ، ط القاهرة سنة ١٩٥٠م

- ١٧ — اللغة العربية في عصور ما قبل التاريخ : للأستاذ أحمد حسين
شرف الدين سنة ١٩٧٥ م
- ١٨ — اللغة العربية عبر القرون : د . محمود هجزي { المكتبة الثمانية }
معد ١٩٧
- ١٩ — اللهجات العربية : د . ابراهيم اتيمس ، القاهرة
- ٢٠ — من لسان اللغة : د . ابراهيم اتيمس ، مصر سنة ١٩٥١ م
- ٢١ — المظهر في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي ، ط الحلبي بمصر
سنة ١٣٧٨ هـ
- ٢٢ — المعجزة العربية على ضوء الفثائية والالسنفة السامفة ، للأب :
ا . س مرمرجى الدومنى ، ط فى القدس سنة ١٩٣٧ م
- ٢٣ — معجزة عربية سامفة : للأب : ا . س مرمرجى الدومنى ، ط
لبنان سنة ١٩٥٠ م
- ٢٤ — مقدمة لدرس لغة العرب : للشفخ عبد الله العللفى — القاهرة
سنة ١٩٣٦ م
- ٢٥ — مقائفس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : الأستاذ عبد السلام هارون
القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ
- ٢٦ — نظرفاء فى اللغة : للأستاذ انفس فرفحه ، ط دار الكفاى اللبافى —
بفروت
- ٢٧ — نشأة اللغة عند الإنسان والطفل : د . على مفد الواحد واق ، ط
ثاففة القاهرة
- ٢٨ — نشوء اللغة العربفة ونهوها ولكفها : للأب مارى أنسلفس
الكرملى ، ط سنة ١٩٣٨ م
- ٢٩ — الوجفز فى لغة اللغة : للأستاذ مفمد الأنطلفى ، ط الشهباء بفاب
سنة ١٣٨٩ هـ

محتويات الكتاب

صفحة	
٤	تقديم
٧	مقدمة
١٥	الأهمية في اللغة
٢٩	نظرية الثنائية
٤٠	ثنائية وثلاثيون
٥١	وجهات نظر في تلك الثنائية
٦٥	نظرية الثلاثية
٧٤	الثنائية في الميزان
٧٨	من ميزات الثنائية
٨٢	الثنائي كثير
٨٩	بحث الثنائية ليس دائما عقليا
٩٤	المراجع
٩٦	محتويات الكتاب

رقم الإيداع ٣٤٠٨ / ١٩٨٠